الازدواجية في التراث الديني المصري

دراسة ثقافية إجتماعية تاريخية

دكتور : سيد عويس



مايد على ايد تساعد ..

(مثل شعبي مصري)

الاهـــداء

الى كل من يلتمس طريقا لكى يســخر طاقاته البناءة فى سبيل تنقيــة المنـــاخ الثقافى المصرى من الشوائب وتطهيره من الأدران من أجل رفعة مصرنا الخالدة ..

سيد عويس

المقدمـــة

يتناول الباحث موضوع الدراســة الحالية من وجهــة النظر الثقافية الاجتماعية التاريخية • والملاحظ أن مفهوم « الازدواجية » بالمعنى الذى تبنته هذه الدراسة يوجد فى مجتمعنا المصرى المعاصر كما يوجد فى كل المجتمعات • وهو يوجد ، عادة ، فى مجال الثقافة التى يتميز بها مجتمع عن آخر • أى أن « الازدواجية فى التراث الثقافى » موجودة فى كل المجتمعات ، المتخلفة منها والمتقدمة ، على السواء • وترى الدراسة الحالية أن « التراث الدينى » هو جزء هام من أجزاء « التراث الثقافى » • وهو فى مجتمعنا المعاصر يمثل أهم القيم الثقافية وربما أكثرها • والملاحظ أن الدراسة الحالية لا تعنى التراث الدينى على اطلاقه ، بل هى تهتم **بتراث الدين الاسلامى على وجه الخصوص** • ولا يمكن أن تضم هذه الدراسة تراث الدين الاســلامى كله • ولكنهــا تعنى أول ما تعنى ، فى ضوء خبــرة الباحث ، بابراز ازدواجية هذا التراث • أى التناقض الواضح بين ما يقال عن هذا التراث نظريا وبين مايمارس فعلا فى الواقع الحى فى المجتمع المصرى المعاصر فى بعض المجالات •

وتدور المجالات التى اهتمت بها الدراسة الحالية حول :

- الازدواجية فى العقيدة ·
- الازدواجية فى العبادة ·
- الازدواجية فى المعاملة ·

ويجب أن يعترف الباحث ، وأرجو أن يوافق القارىء على ذلك ، بأن خبرته محدودة ، وأن المقصود بخبرة الباحث هنا هو خبرته المنتظمة · أى خبرته التى تمثلها عن طريق نتائج دراساته وبحوثه فى المجتمع المصرى المعاصر ·

والملاحظ أن توقيت الدراسة الحالية مقصود · فنحن نلاحظ فى ضوء كل الظروف أن التغيير المادى الذى يمارسه المجتمع المصرى فى الوقت الراهن أمر ضرورى ، ولكن يجب أن نذكر توا أن هذا التغيير لن يتم على الوجه الأكمل الا اذا يسرنا التغيير الثقافى الى الأفضل الذى يقابله ، أو الذى يجب أن يقابله ويتواءم معه · ولن يحدث هذا الا اذا عرفنا ما هو كائن · ولن نعرف ما هو كائن ، كما ذكر ذلك الباحث مرارا وتكرارا فى دراساته وبحوثه السابقة ، الا فى ضوء العلم · أى أن تكون معرفتنا بما هو كائن معرفة موضوعية أى حقيقية · فالحقيقة تيسر لنا الوصول الى الحق (بمعناه العلمى) · والحق خير أساس لبناء مستقبل المجتمعات الذى بدوره ييسر وجود خير أساس لبناء مستقبل الأشخاص ·

فالملاحظ أن عملية بناء مجتمعنا الجديد عملية جذرية وشاملة ، أى أن زواياها عديدة تتضمن البناء الاجتماعى ، والبناء الاقتصادى ، والبناء السياسى ، والبناء الأيديولوجى (أى القيم الثقافية العامة) جميعا · وتعنى هذه العملية مواجهة الكثير من التحديات · وليست هذه التحديات هى ، **فحسب** ، تحديات عمليات الانتاج ، ورفع

مستوى المعيشة ، وارساء التنظيم السياسى الصالح ، وغرس المبادىء الديمقراطية بأنماطها العديدة ، فضلا عن تطبيق قواعد العدالة وتكافؤ الفرص — بل هى أيضا خلق المناخ الثقافى الاجتماعى الايجابى الذى فى ظله يمكن أن نواجه كل هذه التحديات • اننا فى مسيس الحاجة فى الوقت الراهن الى تطهير المتناقضات الثقافية التى يئن منها مجتمعنا المعاصر ، وفى مسيس الحاجة الى التخفيف من حدة ألوان الصراع التى تواجه أعضاء مجتمعنا المعاصر ويواجهها هؤلاء الأعضاء • ان مصرنا الخالدة تنتظر من قادتها القادرين المخلصين العمل توا ، فى ضوء العلم ، من أجل تحقيق هذه المهام • ذلك لأن تطهير المتناقضات الثقافية ، والتخفيف من حدة ألوان الصراع المشار اليها ، ييسران بالضرورة وضوح الرؤية عند أعضاء مجتمعنا المصرى المعاصر • وهذا بدوره ييسر بذر بذور الاستعداد للتغيير الى الأفضل فى نفوس هؤلاء الأعضاء • فهو يعنى الادراك والفهم ، أى هو يعنى تيسير استيعاب عناصر ثقافة هذا المجتمع ، أى تيسير الاستيعاب لكل ما يعمل فى المجتمع ، ولكل ما يقال فيه ، ولكل ما يصنع فيه ، وتمثل كل ذلك • كما يعنى الثقة المتبادلة بالقادرين المخلصين من أبنائه وبناته الذين يعملون فيه والذين يقولون والذين يصنعون • وهو يعنى كذلك ادراك توقيت كل ما يعمل وكل ما يقال وكل ما يصنع ، وادراك ظروف هذا التوقيت • ووضوح الرؤية فضلا عن كل ذلك ، وهذا أمر ضرورى للغاية ، ييسر غرس الحاجة الى كل ذلك فى نفوس أبناء الشعب المصرى المعاصر • وهذا يعنى فى الواقع تيسير الظروف المواتية لتفجير طاقاتهم الانسانية الكامنة لتعمل كلها فى سبيل توفير الامكانات المادية والمعنوية جميعا ، التى تيسر بدورها تحقيق الأهداف كل الأهداف •

وفى ضوء الدراسة الحالية ، يلاحظ القارىء أن الباحث قد خطا خطوة وئيدة فى سبيل الدعوة الى مواجهة الواقع الثقافى الحى فى المجتمع المصرى المعاصر ، بقصد تغيير هذا الواقع الى الأفضل • واذا

كانت الدراسة الحالية قد تناولت جزءا هاما من الواقع الثقافى الحى المصرى ، فمواجهته لا يمكن أن تكون مواجهة جزئية ، بل يجب أن تكون جذرية وشاملة • فقد جرب المجتمع المصرى فى الماضى البعيد وفى الماضى القريب مواجهة مشاكله جزئيا ، ولعل أهم ما يعانى منه فى الوقت الحاضر هو آثار هذه المواجهة الجزئية • واذ يذكر الباحث ذلك فانه يذكر المجتمع المصرى المعاصر بملايينه التى أصبحت الآن حوالى اثنين وأربعين مليونا من البشر • ونحن فى غنى فى ضوء ظروف هذا المجتمع الحالية عن التجارب العشوائية فى الملايين من البشر • فقد جرب فى هؤلاء الملايين التجربة تلو التجربة ، وفشلت التجربة تلو التجربة لأن أهدافها كانت حلولا جزئية وتنتهى عادة بأدواء أكثر ومشاكل أخطر •

ويرجو الباحث قارىء هذه الدراسة أن لا يعتبر ظاهرة « الازدواجية فى التراث الدينى المصرى » بالمعنى الذى تبنته الدراسة الحالية مجرد ظاهرة من ظواهر رواسب الماضى • انها أعمق من ذلك ما فى ذلك من شك • وهى ليست منعزلة عن غيرها من ظواهر المجتمع • ذلك لأن الدعوة الى مواجهة الواقع الثقافى الحى فى المجتمع المصرى المعاصر بقصد تغيير هذا الواقع الى الأفضل ترتكز على دعائم أو مطالب يجب أن تيسر التطوير والتغيير الى الأفضل كذلك • أى أن مواجهة الواقع الثقافى التى يدعو اليها الباحث تعنى فى حقيقة الأمر مواجهة مطالب هذا التطوير وهذا التغيير • لأننا حين نواجه هذه المطالب لا يكفى أن نقف عند الأمور التى لا نرضى عنها بوصفها بأنها رواسب • ان الباحث عندما يعالج موضوع « الازدواجية » فى التراث الدينى المصرى » فى ضوء مجال الدرسة الحالية لم يكتف بوصفها ، ولكنه فضلا عن ابراز وجودها حاول أن يبرز أيضا بعض عوامل وجودها ، ومواقعها ، وصورها أو الأثواب التى تلبسها فضلا عن آثارها المعوقة لتحقيق

أهداف المجتمـع لمصرى المعاصر وأمانيه فى المستقبل المشرق الذى يرنو اليه ٠

واذا كان الباحث يرجو القارىء أن يرى معه أن « الازدواجية فى التراث الدينى المصرى » ظاهرة ليسـت منعزلة عن غيرها من ظواهر المجتمع ، فانه يرجوه أيضا أن يعتبرها مجرد مثال يعكس بعض ما فى الواقع الثقافى الحى فى المجتمع المصرى المعاصر ، فالملاحظ مثلا أن هذا المجتمع لم يتفق حتى الآن على مفهوم « المواطن المصرى الصالح » ٠ ان الأقوال فى هذا لموضوع عديدة جدا وتكون متعارضة أحيانا ومتنافرة أحيانا أخرى ٠ ويؤكد الباحث أن الاتفـاق على معنى هذا المفهوم ليس صعبا ، كما يؤكد أن هذا المفهوم متغير ٠ فهو فى المجتمع الاقطاعى غيره فى المجتمع الرأسمالى ، وهو فى المجتمع الأخير غيره فى المجتمع الاشتراكى ٠ أى أن شخصيات المواطنين الصالحين فى هذه المجتمعات متباينة ٠ ومن ثم تكون الأدوار الاجتماعية لكل مواطن صالح التى يتوقعها منه كل من هذه المجتمعـات متباينة كذلك ٠ أى أن نظرته نحو الحيـاة وعلاقاته الاجتماعية واتجاهاته وأسلوب تفكيره وآماله وألوان معاناته تختلف بالضرورة حسب المجتمع الذى يعيش فيه ـ ومع ذلك فان الباحث يرى أن المجتمع المصرى المعاصر ، منذ فترة غير قصيرة ، لا ينبض ضميره الجمعى بمعنى موحد لمفهوم المواطن المصرى الصالح / لقد سعى هذا المجتمع حثيثا الى تحقيق ذلك فى فترة من الفترات ، ولكن الواقع الحى المعاصر يؤكد الاختلاف والتباين والتنافر السائد فى مناخه الثقافى الاجتماعى بشأن هذا الموضوع الحيوى ٠ ذلك لأن التناقض بين ما يقال وبين ما يعمل أصبح من سـمات هذا المناخ ٠ ومهما يكن من الأمر فان العبرة ، كما يعلم القارىء ، ليست الاتفاق على معنى هذا المفهوم **فحسب** بل ان أكثر من ذلك أهمية هو الاتفاق على الوسـائل التى تحقق اعـداد المواطنين المصريين

الصالحين . فالاختلاف على هذه الوسائل فى ضوء ظروف المجتمع المصرى المعاصر هو السائد . ويصل هذا الاختلاف فى الكثير من الأحيان الى الصراع الثقافى المرير . فقد يتفق البعض على أجهزة تكوين الوطن المصرى الصالح (الأسرة والجيرة والمدرسة والمنظمة الدينية ومنظمة شغل أوقات الفراغ والمنظمة السياسية فضلا عن أجهزة الثقافة والاعلام مثلا) ، ولكن الاختلاف والتباين بل والتنافر تكون كلها عادة حول أى الأجهزة **أصلح وأجدى** . وقد يكون الصراع حول ثنائيات مثل « السنة والبدعة » و « العقل والنقل » و « السلف والخلف » و « الأصالة والمعاصرة » و « الكم والكيف » و « القومية والوطنية » و « الحب والحقد » !! وبين براثن هذا الصراع يعيش أطفال المجتمع حائرين وشبابه قلقين . ذلك أن النماذج السلوكية الواجب عليهم أن يحتذوها عديدة ومتباينة **لعدم وجود السياسة الاجتماعية (بمعناها العام) الواضحة المعالم والأهداف أى التى تستند الى الأيديولوجية الواضحة المعالم والأهداف أيضا .** والنماذج السلوكية العديدة المتباينة تفرض بالضرورة ، كما يعلم القارىء ، الحيرة والقلق المرضى والتوتر على أطفال المجتمع المصرى وشبابه . والأخيرون ، أى الشباب ، هم القطاع الأكبر الذين يتحملون عبء عمليات التغيير الى الأفضل ، أى يتحملون عبء عمليات تنمية المجتمع المنشودة . وهى عمليات لا يمكن أن يقوم بها الا هؤلاء الأشخاص . فهى بهم تتحقق وثمارها ان تحققت لهم وللاجيال القادمة من بعدهم . وعلى الرغم من ذلك نجدهم ، فى ظل الضباب الذى يحول بينهم وبين الرؤية الواضحة التى يدعو الباحث ملحا اليها ، لا يشتركون فى تحمل عبء صياغة القرار واصداره . وفضلا عن ذلك تراهم يواجهون الثنائيات المشار اليها وغيرها وهى عديدة ، ومن هنا تقع البلبلة وتتصادم الأفكار ، ولن يجدى عن ذلك أبدا الوصايا المفروضة **من أعلى** ، بل على العكس تكون لهذه الوصاية المفروضة آثار وخيمة . منها وأخطرها ضعف

الانتماء الاجتماعي ٠ ويزداد خطر هذا الأثر عادة اذا خلت الساحة من النماذج السلوكية السوية ، ومن ثم يحاول أن يملأ هذه الساحة الأدعيـــاء من أصحاب الدعوة ومعتنقى الآراء فتبرز النمـاذج التى لا تلائم ما يصبو اليه المجتمع الجديد ٠

ويرجو الباحث أن يؤكد للقـارىء أن الحيرة والقلق المرضى والتوتر لا تعنى بالضرورة ، كلها أو بعضها ، عند الشباب المصرى أو غيرهم عذرا أو أعذارا لاتخـاذ العنف وسيلة وحيدة للخلاص ٠ فالملاحظ أن المجتمـع المصرى في ضوء تاريخه الطويل واستمراره واستقراره الثقافى النسبى ، قد أبدع لأعضاء هذا المجتمع عند القهر نماذج سلوكية فى شكل منافذ أو أسـاليب قد تبدو أنها تفتقـد الدينامية ولا تساعد على تفجير الطاقات ٠ من ذلك نجد مثلا أن عضو المجتمع المصرى اذا ما عاش فى ظل القهر قد يكتفى بأن يقف موقف المتفرج الذى يفسره البعض أحيانا بأنه موقف « اللامبالاة » ٠ أو تراه يقف موقف المنافق المستضعف الذى يقف أمام السيد الجبار لكى ينال أكبر نصيب من الأسلاب بأقل مجهود ٠ أو يقف العضو موقف الصابر الذى ينتظر تغير الأحوال ، لأن كل وقت له اذان وأن دوام الحال من المحـال ٠ ومع ذلك فقـد نراه أحيانا يقف موقف الصابر الذى يحبس النفس عن الجزع ، فالحياة فيها الحلو والمر ، والحلو لا يمكن أن يستقر على حال والمر كذلك لا يمكن أن يستقر له مقام ٠ أو قد نرى عضو المجتمع المصرى يقف موقف الشكاء ، فهو يشـكو القهـر والقاهرين الى حوله من البشر وربما للاموات العاديين أو للاموات القديسين والأولياء ، وقد تكون الشكاوى لله فهو وحده الواحد القهار ٠ أو قد يكتفى بأن يقف موقف الحزين الباكى ، فعن طريق الحزن والبكاء تفرغ شحنات الدوافع العدوانية وليدة قهر القاهرين واستبداد المستبدين ٠ وقد تراه يقف موقف الداعى الذى يدعو لنفسه أو يدعو للأحباء ومن فى حكمهم ، أو يقف موقف الداعى

الذى يدعو على الأعداء القاهرين الظالمين ومن فى حكمهم • وفى ظل القهر قد نجد عضو المجتمع المصرى يقف موقف الساخر الداعب الذى يستخدم « لغة الدعابات » (التنكيت) • أما اذا أتاحت له ظروفه الثقافية الاجتماعية الفرصة ، فقد تراه يلتمس الفرار بالهجرة الجسدية الى الخارج ، أو يسعى فى طلب الهجرة الى فيافى الصحراء أسوة بما فعله الأجداد الذين فروا بعقيدتهم فى عهد « الاضطهاد الأعظم » أو « عصر الشـهداء » ، وقد تراه يلتمس هجـرة النفس والروح وذلك بالاغراق فى التدين هروبا من القهر والقاهرين الى الهجرة الى الله جل وعلا تقربا اليه والتماسا لرحمته وغفرانه • ومع كل ذلك فاننا نجد المجتمع المصرى قد **أبدع أيضا** لأعضائه النموذج السلوكى المنحـرف ، والنموذج السلوكى المتمـرد الثائر ، فنجـد البعض يحتذى النمـوذج الأول فيخالف قواعد السلوك المرعية أو يرتكب الجرائم المنظورة وغير المنظورة أحيانا ، أو نجـد البعض الآخر يحتذى النموذج الثانى فيقف موقف المتمرد أو الثائر أحيانا أخرى •

واذا كان المجتمع المصرى قد أبدع نماذج سلوكية يواجه بها أعضاؤه القهر والقاهرين ، فهو قد أبدع أيضا نظما اجتماعية فريدة تنسق البكاء والصراخ « والصوات » • نظم خلقت « المعددة » أو دور « الندابة » ودور « ضاربة التار » ، نظم يعمل بها الأحياء عند وفاة الأقرباء وغير الأقرباء وبعد الوفاة وفى أثناء تشييع الجنازة وعند الدفن وبعد الدفن ، نظم للتعزية والعزاء •• الخ • صحيح أن معظم هذه النظم غير ثابت ، **وانه يتطور** ، ولكنه باق لا يزال •

ومن النظم التى أبدعها المجتمع المصرى التى يود الباحث أن يلفت نظر القارىء اليها نظام « **حلقة الذكر** » • والملاحظ أن « حلقه الذكر » هى احدى وظائف « الطريقة الصوفية » • والملاحظ أيضا

أن الانتماء الى احدى الطرق الصوفية يعنى اتاحة الفرصة للعضو لكى يجد نموذجا فريدا من المنافذ الاجتماعية الذى ينفس أعضاء الطريقة عن طريقه عن الشعور بالعداوة الفردى أو الجماعى أو عن الشعور بالنقص أو الشعور بالذنب الفردى أو الجماعى اذا وجدت هذه الألوان من الشعور كلها أو بعضها • والانتماء الى احدى الطرق الصوفية أيضا ييسر للعضو الشعور بالحماية • فعمليات التضامن بين الأعضاء ، وتماسكهم فى ظل مناخ ثقافى معين ، فضلا عن احساسهم بنوع ما من **الامتياز** ، تكون كل هذه الأمور الملجأ الثقافى الاجتماعى الأمين لكل عضو منهم • ومن ثم تصبح الطريقة احدى الجماعات « المرجعية » الهامة لأعضائها ، وتكون فى الوقت نفسه احدى الجماعات « الضاغطة » فى المجتمع ، لها قوتها ونفوذها فى محيط مئات الألوف ان لم يكن الملايين من البشر (فى ضوء عدد الطرق الصوفية المنتشرة فى ربوع المجتمع المصرى الرسمية وغير الرسمية) ، وهى بهذه الصفة قد تستغل **ضد** محاولة هؤلاء الملايين من البشر • والملاحظ كذلك أن الانتماء الى احدى الطرق الصوفية يتيح للعضو أنواعا شتى من المعرفة وخاصة ما تعلق منها بالسلوك الانسانى والنظرة نحو الحياة والنظرة نحو الموت على الرغم مما يشوب هذه المعرفة **من سلبيات** منهـا بل وأهمها جمودها ووقوفها أمام عجلة التطور لكى تدور دورتها الى الأمام • ويتأكد ذلك اذا عرف القارىء أن من آداب الذكر ، مثلا ، أن الذاكر لا يختم الذكر حتى يحصل له نوع من الاستغراق بأن يحس فى نفسه بحلاوة الذكر ويحصـل له شـوق وهيمان • ثم اذا ختـم الذاكر سـكن واستحضر الذكر باجرائه على قلبه مترقبا **لوارد الذكر** فلعله أن يرد على قلب الذاكر وارد ينشأ عنــه فى اللحظـة من الثمرة ما لم ينشأ **عن مجاهدة نحو ثلاثين سنة** ، وهذا الوارد اما وارد زهد أو ورع أو تحمل أذى أو محبة أو نحو ذلك ، تاركا **للواردات الدنيوية** حابسا نفسه اذ ذاك ثلاث مرات أو خمسا أو سبعا هكذا بالأفراد ،

فلهذه السكتة ثلاثة آداب : مراقبة الله تعالى كأن الذاكر بين يديه وجمع حواسه بحيث لا تتحرك منه شعرة **كحال الهر عند اصطياد الفار** • وحبس الذاكر نفسه مرارا حتى يدور وارد الذكر فى جميع عوالمه ويجرى على قلبه معنى الله ، كافا عن شرب المـاء فى أثناء الذكر وبعد الفراغ منه لأن للذكر حرارة تجلب الأنوار والتجليات والواردات الجليلة ، وشرب الماء ربما أضعف تلك الحرارة ، وأقل ذلك أن يصبر الذاكر نحو نصف ساعة **فلكيــة** ، وكلمـا كثر كان أحسن بل **الصادق** لا يكاد يشرب الا عن ضرورة قوية لكون ترك شرب المـاء من الآداب المؤكدة ، وعلى الذاكر الصــادق أن يحرص على هذا (*) •

ويرجو الباحث أن لا يرى القارىء عليه فى اعتماده على نتائج دراساته وبحوثه السابقة فى الدراسة الحالية **غضاضة أو مثلبة** • فهى دراســات وبحــوث أجراها الباحث نفســـه فى الواقـــع الحى المصرى ، ونتائجها مادة فيها **مغاز كثيرة** ليست للباحث فحسب بل وللمشتغلين بالدراسات الاجتماعية والنفسية والقانونية وللمشتغلين بدراسات الأدب الشعبى • وفضلا عن ذلك فانها قد تكون منبعـا هاما لكاتب السينما المصرية أو المسرح المصرى أو غيره من الفنانين اذا كان المراد تقديم صورة حقيقية عن الناس الذين يعيشون فى المجتمع المصرى أو عن بعضهم ، أو اذا كان المرد لتغلغل فى روح شــعب هذا المجتمــع أو فى تراثه ، بدلا من اللجــوء الى اقتبــاس موضوعات أجنبية لا تمت الى كل ذلك بصلة • واعتماد الباحث على نتائج دراساته وبحوثه الســابقة مسألة ، فى ضوء ما سبق

(*) انظر : محمود محمد خطاب السبكى : العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق ، القاهرة ، مطبعة الفتوح الأدبية بمصر ، ص ٤ •

ذكـره ، قد لا يكون عليهـا خلاف ، ولكن تكرار الباحث ذلك فى مؤلفاته قد يثير قضية أو قد يثير مناقشة قد تتعلق باصدار حكم ضده وليس له ، فقد يتهم بالعقم أو بنضوب الفكر مثلا ، واذا لم يسىء الظن بالناقد فقد تتعلق هذه القضية أو هذه المناقشة بملل القـارىء الذى يعانى من التكـرار • وليس لدى الباحث ما يقوله الا أنه يعمل فى الواقع الحى المصرى ، ويكون الغرور بعينه لو ادعى أنه وصل الى الكثير • ان ما وصل اليه هو أقل من القليل • فالمجتمع المصرى منذ عام ١٩٣٧ ، أىمنذ أن بدأ الباحث دراسته الاجتماعية المنتظمة ، أى منذ أصبح ينظر الى هذا المجتمـع نظـرة فاحصـة متعمقـة ، بدا له وكأنه **موسوعة ضـخمة** تتضمن الكثير جدا من الحقائق والمعلومات وتوحى بالكثير جدا من الحقائق والمعلومات • ومنذ ذلك الحين وحتى الآن يحاول الباحث أن يقرأ بعض سـطور هذه الموسوعة العظيمـة ، فقام باجراء بعض الدراسـات والبحوث حول موضوعات كانت ولم تزل شغله الشاغل • ومن هذه الموضوعات ظاهرة الموت وتحكم الأموات فى الأحياء سواء أكانوا موتى عاديين أم موتى قديسين أو أوليـاء • ومنهـا موضـوع السمات الثقافية للمجتمـع المصرى المعاصر • والمرأة المصرية ومكانتهـا الاجتماعية كانت من الموضوعات الهامة التى أجـرى الباحث بحوثا عنهـا • وموضوعات التنمية ، وقطاع الشباب وتكوين القادة منهم ، فضلا عن السلوك الانسانى السوى وغير السوى فى محيط أعضاء المجتمع على تباينهم ، كلها ، قد نالت قسطا من اهتمام الباحث وتضمها دراساته وبحوثه المنشورة وغير المنشورة • **انها مجرد سطور** حاول الباحث ولا يزال يحاول أن يقرأها من الموسوعة الكبرى ، موسوعة المجتمع المصرى • ولا يدعى الباحث ولا يمكن أن يدعى شيئا آخر الا أنه ما زال يحاول ويحـاول وسـيظل يحاول • وهدف الباحث ولا هدف غيره ، قبله أو بعده ، هو جمع الحقائق لكى يصل الى الحق العلمى • أى أنه ليس فنانا يحاول التعبير الذاتى • قد تكون

لديه هذه الطاقة ، فكل انسان لديه الطاقة الفنية ، ولكن طاقة الفنان أكثر ارهافا من غيره . والفنـــان يدرب هذه الطاقة على الدوام . وهو اذ يســتخدمها فى مجــالاته الفنيـــة يزيدها تدريبا ويزيدها ارهافا . ولكن الباحث لأنه ليس فنانا فهو يجمــع البيانات التى تساعده على الاجابة عن السؤالين لماذا ؟ وكيف ؟ البيانات الموضوعية (الحقائق) ، انه لا يحلق فى الخيال ولا يبتكر ، انه وراء الواقع الحى للموضوع الذى يدرسه انسانا كان أو مادة .

والملاحظ فى ضوء الانتاج العلمى للباحث منذ أن كتب المؤلف العلمى الأول الذى نشر فى عام ١٩٥١ وحتى الآن ، أننا نجد أن الموضوعات المدروسة اما أن تعرض فقط كما هى . لقد فعل هذا الباحث فى كتابه « الخلود فى التراث الثقافى المصرى » عام ١٩٦٦ . أو نجدها تعرض فى محاولة التعرف على عوامل وجودها ومواقعها وصورها فضلا عن آثارها المعوقة لتحقيق أهداف المجتمــع المصرى المعاصر فى المستقبل المرجو . لقد فعل الباحث هذا فى كتابه « من ملامح المجتمع المصرى المعاصر ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى » الذى نشر فى عام ١٩٦٥ . لقد أبرز الباحث وجود هذه الظاهرة وتحدث فى ضوء نتائج تحليــل مضمون الرســـائل موضوع الدراسة عن مكانة الامام الشافعى . وعندما كتب الباحث دراسته عن « الابداع الثقافى على الطريقة المصرية : دراسة عن بعض القديسين والأولياء فى مصر » فى عام ١٩٨٠ ، كان الموضوع الهام الذى حاول أن يحققه الباحث هو **الصلة** بين « الامام الشافعى » كقاض يرأس « المحكمة الباطنية » ، كما يعتقد فى هذا بعض مرسلى الرسائل اليه من المصريين المسلمين ، وبين الاله « أوزيرس » كقاض لمحكمة « الاله الأعظـم فى مدينة الأموات » التى كان يرأســها . واضطر الباحث لكى يثبت ذلك الى أن يكــرر بعض ما ذكره فى كتابه فى عام ١٩٦٥ وفى كتابه فى عام ١٩٦٦ ، عن مكانة الامام

الشـافعى وعن ظاهرة الموت وظاهرة الخلـود فى التـراث الثقـافى المصرى . فاذا كانت هذه الصلة قائمة فكيف حدث هذا ؟ حاولت الدراسة المشار اليها الاجابة عن هذا السؤال ، وطرحت فكرة أن مكانة الآلهة المصريين القـدماء قد انتقلت فى فتـرات التحول فى تاريخنا المصرى بعملية توفيقية الى الأنبياء والقديسين ثم الأولياء . وقد أبرز الباحث فى الدراسـة هذا الأسلوب الثقـافى **الذى أبدعه** المجتمع المصرى . فقد لاحظ مثلا أن شكل المحكمة الباطنية استمر كما هو منذ العصر القديم على مر القرون ، أما محتواها ويقصد به هنا الأعضاء الذين يطلب منهم العون ، فهو متغير . **فهؤلاء الأعضاء** فى عصر الوثنية كانوا آلهة ، وأصبحوا فى عصر المسيحية أنبياء وقديسين وشهداء ، وفى العصر الاسـلامى صاروا أوليـاء . ومن حيث وظيفة هذه المحكمة فقد كانت وما زالت تحقيق العدالة وانصاف المظلومين والمطحونين سواء قدموا شكاوى أو طلبوا طلبات . وكانت من ملاحظات الباحث العابرة الدراسـة المذكورة التى قد تكون لها دلالة عند بعض القراء أن معظم القديسين والأولياء الذين تناولتهم **كانوا وهم أحياء من الطبقة الرفيعة أو كانوا من أهل الصفوة فى المجتمع الذى كانوا يعيشون فيه** . فالقديس « مار مينا » كان واليا وكان أبوه واليا كذلك ، وكانت القديسـة « دميانة » بنت أحـد الولاة ، ولا جدال فى أن القديس « بفنوتى » أسقف طيبة و « الهيكل الحى للحكمة الالهية » والرجل « الذى أوتى من الحكمة السماوية ما يجعله أهلا لأن يحكم بالعدل والقسطاس » ، كان من أهل الصفوة فى المجتمع الذى عاش فيه . وقد بلغ « الامام الحسين » بنسـبه الشريف وخلقه الكريم وورعه وتقواه ورعايته لأحكام الدين ، مكانة فى قوب الناس لا تدانيها مكانة . أما « السيدة زينب » (بطلة كربلاء) فهى تلك التى تلاقى فيها أعز ما عرفت قريش والعرب من كريم الأصول ونقى السلالات . وكان « الامام الشافعى » من صفوة أهل الصفوة فى مجتمعه وكان « يونس بن عبد الأعلى » يقول :

« لا أعلم هاشميا ولدته هاشمية الا عليا بن أبى طالب ، ثم الشافعى رضى الله عنه » ، وكان رضى الله عنه « أمام الدنيا وعالم الأرض شرقا وغربا » . « والامام الشافعى » فضلا عن ذلك هو الرجل الذى وصف بأنه حمل نصف علم الدنيا فى حياته القصيرة .

أما الدراسة الحالية التى بين يدى القارىء فهى تعالج موضوعات تدور حول ما تدعو اليه تعاليم الدين الاسلامى الحنيف على المستوى النظرى . أى ما تدعو اليه آيات القرآن وأحاديث نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم من حيث موضوعات العقيدة السليمة والعبادة الصادقة والمعاملة الصالحة . وتؤكد هذه الدراسة أن ما يقال حول هذه الموضوعات نظريا غير ما يمارس فى الواقع الحى فعلا . **فالدين الرسمى** ، اذا جاز التعبير ، شىء **والدين الشعبى** (أى الذى يمارس فى محيط الملايين) شىء آخر . ولكى يثبت الباحث هذه القضية الخطيرة لجأ الى نتائج بعض دراساته وبحوثه السابقة التى عالجت مثلا مكانة « الامام الشافعى » ، « علم الحكمة » (علم السيميا) ، « ظاهرة الكتابة على هياكل العربات » ، « المرأة المصرية المعاصرة » ، « الطفولة المصرية » ، « ظاهرة الجريمة » ، فضلا عن نتائج دراسات وبحوث جديدة أخرى .

وفى هذا الضوء يلاحظ القارىء أن الموضوعات التى عالجتها دراسات « ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى » ، « الخلود فى التراث الثقافى المصرى » ، « الابداع الثقافى على الطريقة المصرية » هى موضوعات مختلفة . واذا كان كل موضوع منها يختلف عن الآخر ، فانه أيضا يختلف عن الموضوع الذى تعالجه الدراسة الحالية . ان القضية أو المناقشة التى تثار حول افادة الباحث من نتائج هذه الدراسات ، اذن ، لا يمكن أن تتيح للناقد أن يصدر حكما ما ضده . وهى أيضا لا تتعلق بملل القارىء ومعاناته من التكرار ، بل هى بالضرورة تتعلق بالمادة التى اغترف

الباحث منهم بالذكر الأستاذ الدكتور زين العابدين محمد مبارك من الغنى ما يسر للباحث أن يفعل ما فعل ، وقد تيسر نفس هذه المادة المحدودة للسادة المهتمين بها أن يفعلوا شيئا آخر أو أشياء أخرى .

ومهما يكن من الأمر فانه لا يسع الباحث وقد تم اعداد الدراسة الحالية ، الا أن يقدم الشكر الجزيل الى جميع الزميلات والزملاء الذين حضروا « الندوة الثقافية » التى نظمتها وأدارتها الزميلة الأستاذة شهيدة الباز فى خلال شهر مايو عام ١٩٨٠ ، وفيها عرض الباحث موضوعات من هذه الدراسة أثارت مناقشة السادة الحاضرين واهتمامهم ، مما يسر له وضوح الرؤية الذى كان ثمرة شهية جناها من هذه المناقشة وهذا الاهتمام . ويخص الباحث منها . ان هذه المادة على الرغم من أنها **محدودة** قد بلغت والأستاذ الدكتور عادل عازر ميخائيل والأستاذة الدكتورة ناهد حسين صالح والأستاذة الدكتورة نهى حامد فهمى والأستاذة الدكتورة هدى محمد مجاهد والدكتورة الهام عفيفى عبد الجليل والدكتورة زينب عبد المجيد رضوان والدكتورة سهير لطفى على والدكتورة ايلى عبد الجواد والدكتورة نادية حليم سليمان والدكتورة ناهد رمزى سعد والدكتورة وداد سليمان مرقص والأستاذة آمال حسن موسى والأستاذة أميرة عبد اللطيف مشهور والأستاذة تغريد شرارة والأستاذة زينب شاهين والأستاذة سامية نوار والأستاذة سلوى العامرى والأستاذة عفاف ابراهيم والأستاذة عفاف القاضى والأستاذة علا مصطفى أنور والأستاذ على حسن فهمى والأستاذ عمر بن الخطاب خليل والأستاذة كاميليا على والأستاذ محمد رشاد كفافى والأستاذ محمد نجيب ابراهيم والأستاذة نادية عبد المنعم التطاوى والأستاذة نادية محمد ابراهيم والأستاذة نجوى حسين

خليل والأستاذة هبة النبال والأستاذة هدى الشناوى والأستاذة وفاء مرقص ٠

ويشرف الباحث ويسعده أن يقدم الشكر الجزيل أيضا الى كل من عاونوه أو تعاونوا معه حتى أصبحت الدراسة فى صورتها الحالية ، ويخص منهم بالذكر أعضاء أسرته : السيدة حرمه وابنتيه آمال وتيسير وأبناءه أحمد وسمير ومسعد ، والسيدة الفاضلة الزا ثابت مديرة جمعية الخدمات الاجتماعية بحى بولاق ، والأستاذ الحاج محمد شوقى ابراهيم الذى قام بنسخ النسخة الأصلية للدراسة على الآلة الكاتبة ٠

والباحث اذ يعترف بفضل الجميع ، يرجو لهم حياة طيبة مباركا فيها ومستقبلا أسمى وأسعد ٠

الازدواجية فى التراث الدينى المصرى

(دراسة ثقافية اجتماعية تاريخية)

- ١ -

قد يطلق على مفهوم « الازدواجية » مفهوم « الثنائية » فى بعض الأحيان ٠ وهو ككل مفهوم انسانى له معانى عديدة ، وله أيضا صور عديدة ٠ والملاحظ أن مفهوم الازدواجية فى الدراســـة الحالية هو معنى فكرى يعنى على وجه العموم التناقض بين ما يقال وبين ما يعمل ٠ أى التناقض بين ما يقال فى مجال معين وما يقال فى نفس المجال ، أو التناقض (أو الصراع بمعنى أدق) بين القديم وبين الجديد ٠

والدراسة الحالية هى دراسة ثقافية اجتماعية تاريخية ، وهى تستند على بحوث ودراسات قام الباحث باجرائها فى الواقع الحى المصرى على مدى سنين عديدة منذ شهر مايو عام ١٩٥٨ ، وحتى وقتنا الراهن ٠

ويقصد بمفهوم « الثقافة » هنا ، فى بساطة ، كل النماذج السلوكية البشرية التى تكتسب اجتماعيا ، والتى تنقل اجتماعيا ، كذلك ، الى اعضاء المجتمع البشرى عن طريق الرموز . ومن ثم يمكن ان يقـال أن الثقافة تتضمن كل ما يمكـن أن تحققـه الجماعات البشرية . ويتضمن ذلك اللغـة ، والصناعة ، والفـن ، والعلم ، والقانون ، والحكومة ، والأخـلاق ، **والدين** . كما يتضمن أيضـا الآلات المادية ، والمصنوعات التى تتجسم فيها عناصر ثقافية معينة أو سمات ثقافية عقلية معينة من شأنها أن تعطيها فائدة تطبيقية معينة ، مثل المبانى بكل أنواعها ، والماكينات ، وأساليب المواصلات ، واللوحات الفنية .. الخ .

ومن ثم فمفهوم الثقافة بمعناه الاجتماعى العلمى يختلف كثيرا عن معنـاه العـام . فهو يتضمن كل ما يمكن أن يعلـم عن طريق العلاقات الانسانية المتداخلة . كما يتضمن اللغة والعادات والتقاليد والنظم الاجتماعية جميعا . أى أن معناه يشمل اسلوب أو أساليب الحياة الناس فى مجتمع من المجتمعات ، أو فى جماعة من الجماعات . وانه لا يجب استعمال هذا المفهوم استعمالا محدودا يقتصر معناه على نوع معين من الثقافة كما يستعمل فى اللغة العامة أو فى التاريخ أو فى الآداب والفنون . ذلك أن مضمون مفهوم الثقافة بعناصرها المادية وغير المادية ، بمعناه الاجتماعى العلمى ، فى مجتمع ما ، **يحتوى على كل ما يعمل فى هذا المجتمع ومن يعمله ، وكل ما يقال فيه ومن يقوله ، وكل ما يصنع فيه ومن يصنعه ، ومتى يحدث هذا العمل او هذا القول او هذه الصناعة وتحت اية ظروف** (١) .

● ●

ولقد لاحظ الباحث فى ضوء العديد من البحوث والدراسـات التى اجراها ان الثقافة المصرية المعاصرة لها بعض السمات هى :

– انها قديمة ومستمرة ٠

– وأنها متعددة المصادر ٠

– وأن معانى بعض مفاهيمها وأهداف ممارسة البعض متغيرة ٠

– وأن بعض عناصرها متناقض على الرغم من تماثل مجالات الممارسة ٠

– وأنها فى معظم الأحيان ، فى صراع حاد مع الجديد ٠

– ٢ –

وحول موضوع كون « الثقافة المصرية قديمة ومستمرة » نجد أن « جورج سارتون » فى كتابه « تاريخ العلم » يرى بحق أن بناء حضارة (ثقافة) أى مجتمع لا يمكن أن يتم فى يوم واحد ، ولا فى قرن واحد ٠ لأن تقدمها يتضمن استمرارا فى جهود متجمعة فى حركة مركزية مدة طويلة ٠ ولا يكون هذا ممكنا دون أن يكون هناك قدر كاف من المركزية السياسية والاستقرار ٠ وقد تحقق هذا الشرط منذ زمن مبكر فى وادى النيل ٠ ويرى سارتون أيضا أن نوعا من الوحدة السياسية تم فى مصر منذ عصورها قبل التاريخ (حوالى عام ٤٠٠٠ ق٠م تو قبل ذلك) ، وان هذه الوحدة السياسية لم تكن شملت بعد جميع أرض مصر ، بل كانت هناك مملكتان وحدهما « الملك مينا » فى عام ٣٤٠٠ ق٠م ، ومن هنا بدأ عهد الأسرات ٠

والملاحظ أن هذه الوحدة لم تستمر الى الأبد ، بل ظلت أيام الأسرات الست الأولى فحسب (أى الدولة القديمة أو من عام

٣٤٠٠ ــ ٢٤٧٥ ق٠م) ، أى حوالى ألف سنة ٠ وهى مدة كافية لتبلور الأفكار والعادات الخلقية ٠ ويجب أن نلاحظ أنه قد مرت على مصر القديمة ثلاثة عصور من الاستقرار :

ــ الدولة القديمة : الأسرات من ١ ــ ٦ أى من ٣٤٠٠ ــ ٢٤٧٥ ق٠م

ــ الدولة الوسطى : الأسرات من ١١ ــ ١٢ أى من ٢١٦٠ ــ ١٧٨٨ ق٠م

ــ الدولة الحديثة : الأسرات من ١٨ ــ ٢٠ أى من ١٥٨٠ ــ ١٠٩٠ ق٠م

أى أن هذه العصور امتدت على التوالى ٩٢٥ و ٣٧٢ و ٤٩٠ عاما ٠ وقد تخللت هذه العصور مدتان من الفوضى أو عدم الاستقرار على الأقل :

ــ الأولى : من الأسرة ٧ ــ ١٠ أى من ٢٤٧٥ ــ ٢١٦٠ ق٠م (٣١٥ عاما) ٠

ــ الثانية : من الأسرة ١٣ ــ ١٧ أى من ١٧٨٨ ــ ١٥٨٠ ق٠م (٢٠٨ أعوام) ٠

مع ملاحظة أن الأسرتين ١٥ و ١٦ قد حكمهما ملوك « الهكسوس » ، وهم ملوك اجانب أخذوا بمظاهر الحضارة السامية وهاجموا مصر فى القرن السابع عشر قبل الميلاد ، وفرضوا انفسهم على البلاد قرابة قرن ونصف ٠

وفى ضوء ما سبق نجد أن عصور الاستقرار **كانت طويلة** ، وخاصة العصر الأساسى الأول ۰ وذلك من حسن حظ مصر ، فقد أمكـن المصريون توطيد أركان نظمهـم وتعميق جذور تقاليدهم ۰ ولكى ندرك قيمة طول هذه العصور نذكر على سبيل المثال تاريخ أمريكا ۰ فاذا فرضنا أن هذا التاريخ الذى يمتـد من أيام الثورة الأمريكية عام ١٧٧٥ الى عام ١٩٨٠ (٢٠٥ أعوام) يمثل وحدة واحدة ، فان كلا من الدولة القديمة والوسطى والحديثة استمر فى مصر ٤ر٥ ، ١ر٨ ، ٢ر٤ وحدة على التوالى ۰

ومن المعروف تاريخيـا أن غزو الفرس لمصـر بدأ فى الأسرة السابعة والعشرين أى فى عام ٥٢٥ ق۰م ، أى أن مصر أصبحت ولاية فارسية ، وان كانت قد ظهرت فى فترات متقطعة أسـرات وطنية محلية (أسرات ٢٨ ـ ٣٠) حتى عام ٣٣٢ ق۰م حين غزا « الاسكندر المقدونى » وحكم « البطالمـة » من عام ٣٣٢ الى عام ٣٠ ق۰م أى عام غزو الرومان لمصر ۰ وفى هذا الضوء نلاحظ أن الأسرات الست والعشرين فى تاريخ مصر القديمة (من ٣٤٠٠ ـ ٥٢٥ ق۰م أى ٢٨٧٥ عاما) قد استمرت اذا قارناها بتاريخ أمريكا (٢٠٥ أعوام) ١٤ وحـدة ۰ أى أن عصور الاستقرار فى مصر القديمة قد بلغت من الطول بحيث أنها يسرت للثقافة (الحضارة) المصرية كلها وحدة معينة وقف فى سبيل اطرادها تنوع الانقلابات والتغيرات فى الجهاز السياسى وفى الأحوال الدينية ۰ واذا كان كل ذلك يؤكد قدم المجتمع المصرى واستمراره واستقراره ثقافيا حتى الأسرة السادسة والعشرين (عام ٥٢٥ ق۰م) فقط ، فالملاحظ فى ضوء نتائج الدراسات الواقعية التى أجراها الباحث أن العديد من العناصر الثقافية المصرية التى كان يمارسـها المصريون الأقدمون ما زالت تمارس حتى الآن ۰ أى أنه على الرغم من أن المصريين قد غيروا لغتهم التى يتكلمون والتى يكتبون بها أكثر من مرة فى خلال

تاريخهم ، **واستبدلوا بدينهم دينا آخر مرة أو مرتين** ، وعلى الرغم من تعدد الحكام من غير المصريين فى خلال حقبة طويلة من عمر البلاد (من عام ٥٢٥ ق٠م ـ عام ١٩٥٣ ميلادية) فاننا نجد أن المصريين قد جمعوا بين القديم والحديث فى كثير من مظاهر حياتهم وألوان ثقافاتهم (٢) ٠

ونلاحظ الاستمرار الثقافى المصرى فى الكثير من المناسبات والمواقف الثقافية الاجتماعية ٠ ومن هذا ما يحدث عند الولادة (قبلها وفى أثنائها وفى حفل السبوع مثلا) ، وختان الذكور (ختان الاناث مستحدث تمارسه الفتيات المسلمات والمسيحيات المصريات على السواء) ، والزواج المبكر ، تزوج وأنت شاب حتى تنجب وترى أبناءك رجالا وترى أحفادك كأوراق الشجر حولك » (وفى أكليل الزواج المسيحى نرى نفس الألفاظ « ليكثر الله من أبنائك وتكون أسرتك كالشجرة كثيرة الأالراق ») ، وما زال الفلاح المصرى المعاصر يستخدم فى الزراعة أدوات مثل الفأس والمحراث والبلطة والساقية والمنجل والمذراة والنورج والشادوف والطنبور ، وهى نفس الأدوات القديمة الى كان المصريون الأقدمون يستخدمونها ونلاحظ أن الأنثى المصرية تتزين كما كانت تتزين جدتها بالكحل وتلبس الكردان وتضفر شعرها وتستعمل الحناء ٠ وترى فى منزل الفلاح وفى الكثير من المنازل فى المدينة أعضاء الأسرة يأكلون على الطبلية ، ويأكلون الكعك فى الأعياد (يلاحظ أن النقوش على الكعكتكون على شاكلة أشعة الشمس أى أن الكعكة تمثل « **قرص** الشمس » معبود المصريين الأقدمين) ٠ وما زال المصريون المعاصرون يأكلون ألوانا من الأطعمة كما كان يأكلها أجدادهم ومنها : البتاو والجبن الحلوم والفول المدمس والبصارة ، وما زال « التقويم الزراعى » المعاصر هى نفس التقويم الزراعى القديم ٠ واحترام الحيوان الى درجة التقديس ما زال قائما ٠ **وأدوات السحر مثل**

التعاويذ والأحجبة والعمــل وتمائم العين والجعران والكف (خمسة وخميسة) ما زالت لها سوق رائجة فى المجتمع المصرى المعاصر ٠
وحتى ألوان الغزل المعاصر مستمرة فالمصرى الحديث مثل المصرى القديم يعشق فى المرأة طول شعرها وانسيابه وجمال عينيها وجمال الثدى أو النهود ، تراه يقول فى ذلك الشعر أو الزجل ويتغنى بها بصوته وهو يعمــل وفى وحدته ومع الآخرين من الأنداد ٠ وفى قاموس الكلمات التى يتحدث بها المصرى المعاصر العديد من الكلمات الفرعونية مثــل : القلــة والمــاجور والفوطة والويبة (مكيــال) والسباطة (البلح) ولبشــة (القصب) والشرش والسمك البورى والبسارية والبرسيم والاردب (مكيال) وأم قويق والحلق والبقوطى والنبوت والمقطف ، وكلمات تقال للاطفال وعنهم مثل : ننوس ونونو وتاتا وامبو ووواوا وبح !! والعادات الجنائزية مستمرة منذ القديم حتى الوقت الراهن ، المصريون المسيحيون يمارسونها والمصريون المسلمون يفعلون ذلك كذلك (٣) ٠

ومن العناصر الثقافية التى تتضمن هذه العادات نجد العناصر الثقافية غير المادية التى تتعلق بمظاهر الموت ومفهوم الخلود ٠ كما نجد بعض العناصر الثقافية غير المادية التى تتعلق بالنظرة نحو الموت ونحو الموتى ٠ ومن الأمثلة على هذه العناصر نجد الصلة بين ظاهرة النوم وبين ظاهرة الموت ، ومفهوم القرين ، وعوامل وجود ظاهرة الموت ووجود اله للموت أو ملاك للموت ، والتفكير فى الموت ، وعدم خشية الموت ، والاعتقاد **فى وجود حيــاة بعد الموت ستكون حياة الثواب والعقاب وفقــا لسلوك الانســان على وجه الأرض ،** والتفكير فى الحياة بعد الموت ، والاعتقاد فى وجود حياة فى القبر وفى حساب الآخرة (محاسبة الضمير) ، وفى وزن الأعمال وفى وجود الجنة وشجرة الحياة (شجرة الخلود) وفى وجود حارس الجنة وفى وجود للنار (الهاوية) وبحار لهيبها وانهاره ، كما نجد

كذلك العادات الراسخة المتعلقة بنعى الموتى والبكاء عليهم والنياحة والتعزية وزيارة القبور **فضلا عن كتابة الرسائل الى الموتى** (٤) .

وفى ضوء احدى الدراسات التى اهتمت بموضوع « ارسال الرسائل الى الموتى » لاحظ الباحث فى دراسته عن ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى (توفى عام ٢٠٤ هـ الموافق عام ٨١٩ م) . أن بعض الرسائل قد أرسل من **اهناسيا** بمحافظة بنى سويف . ومما يلفت النظر أن نجد أن مضمون احدى هذه الرسائل عبارة عن شكوى يذكرنا بالملامح الرئيسية لمضمون « شكوى الفلاح الفصيح » . ففى عهد ملوك **اهناسيا** ، أى منذ حوالى ٤٠٠٠ عام ، سلب أحد المتصلين بذوى النفوذ فى البلاد فلاحا بسيطا ما معه من سلع ، فذهب الفلاح ليشكو الى رئيس هذا الشخص وهو كبير حجاب القصر . ووجد كبير الحجاب أن الفلاح كان عنيفا فى شكواه ، وفصيحا فى حديثه ، ولهذا لم ينصفه الا بعد أن كرر شكواه تسع مرات . ان كل ما أراده هو أن يرجعوا اليه بضاعته وطالب بحقه فى الماعت (أى الحق والعدل) من شخص وضع فى منصبه لكى يوزع « ماعت » بين الناس . واذا كان ما حدث لأحد الفلاحين فى اهناسيا منذ ذلك التاريخ السحيق قد حدث فعلا أو كان مجرد قصة ، فان ذلك لا يعنينا فى شىء ، ومجال تحقيق ذلك مجال آخر . ولكن الذى يعنينا أن دلالة القصة القديمة ما زالت باقية على الرغم من مرور حوالى ٤٠٠٠ عام . وهى موجودة ليست فى الرسائل المرسلة من اهناسيا الى ضريح الامام الشافعى فحسب ، ولكن أيضا فى الكثير من الرسائل المرسلة الى نفس الضريح من أماكن أخرى (٥) .

وفى ضوء احدى الدراسات التى اهتمت بموضوع « الانشاد فى الحضرة الصوفية وفقا للطريقة الحامدية الشاذلية » ، أثبت

الباحث وجود أحد العناصر الثقافية المصرية القديمة المستمرة فى المجتمع المصرى حتى الآن عندما اكتشف أن بعض الألحان **كان أقدم من الكلمات** ، وأن الأداء فى بداية بعض الألحان قريب الشبه **بأداء** الحان الكنيسة (٦) ٠

وفى ضوء ملاحظات الباحث **وجد أن الأم المصرية المسلمة** اذ تدعو الدعوات الحانية ابنها تقول مثلا : « راضى عليك قلبى وبزى وحجرى » ، فانها فى الواقع تؤكد معانى آية من آيات أحد اصحاحات سفر التكرين أحد أسفار الكتاب المقدس (العهد القديم) :

« من اله أبيك الذى يعينك ومن القادر على كل شىء الذى يبارك تأتى بركات السماء من فوق وبركات القمر الرابض تحت ٠ بركات الثديين والرحم » ٠ (تك ٤٩ : ٢٥) (٧) ٠

ـ ٣ ـ

وتعدد مصادر الثقافة المصرية المعاصرة واضحا اذا لاحظنا ، كما سبق القول ، قدم هذه الثقافة واستمرارها ٠ والقدم والاستمرار وحدهما لا يؤكدان بالضرورة تعدد مصادر الثقافة المصرية ، ذلك لأنهما صفتان للثقافة المصرية الأصيلة الآتيـة من الماضى السحيق والتى نشأت فى الغالب فى البيئة الطبيعية الأصيلة ٠ ولكن دلالة القدم بالاستمرار فى ضوء تاريخ المجتمع المصرى الطويل توضح مصـادر الثقافة المصرية الأخرى وأهمهـا الثقافة العربية (الدين الاسلامى واللغـة العربية بخاصة) والثقافة الغربية (الأوروبية والأمريكية منذ الحملة الفرنسية بخاصة) ٠ فالمصرى المعاصر ، نتاج المجتمـع المصرى منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى الآن والذى يسكن الحضر بخاصة ، يعيش فى ظل أكثر من ثقافة هى الثقافة القديمة المستمرة (منها اليونانية والرومانية) » والثقافة العربية فضلا عن الثقافة الغربية وبخاصة الأوروبية والأمريكية ٠

ونظرة عميقة الى عناصر الثقافة المصرية المادية وغير المادية المعاصرة ، تؤكد لنا تنوع مصادر هذه العناصر . ولعل أجهزة الثقافة والاعلام أن تعكس هذه الحقيقة بوضوح وجلاء . وقد تجلى ذلك فى خلال حرب أكتوبر ، وهى حرب مصرية معاصرة (عام ١٩٧٣) ، فقد كان بعض أجهزة الثقافة والاعلام المصرية ينشر أو يذيع ، اثارة للنخوة والحمية ، فى أغلب الأحيان ، مادة ثقافية اعلامية تتضمن ثقافة عربية اسلامية خالصة . ونجد فى المناسبات (شهر رمضان مثلا) أن هذه الأجهزة تؤكد نشر واذاعة نفس هذه المادة الثقافية الاعلامية التى تتضمن الثقافة العربية الاسلامية الخالصة . واذا كان من الممكن أن يقبل نشر واذاعة مادة ثقافية اعلامية عربية اسلامية خالصة فى خلال شهر رمضان فانه من غير الممكن أن يحوز القبول نشر واذاعة هذه المادة فى خلال حرب أكتوبر أو بقصد اثارة النخوة والحمية فى مناسبة أخرى من المناسبات الوطنية . ولعل ذلك يرجع الى قلة الموضوعات المصرية المناسبة . وقد ترجع هذه القلة **الى أن الأدب المصرى الحديث لم يتخذ المسار الطبيعى الذى الذى اتخذه غيره من الآداب العظمى** . فقد كان الاهتمام بمصادر الثقافة العربية (الاسلامية) والاوروبية والأمريكية أكثر من الاهتمام بالثقافة المصرية القديمة استمرة . أى أن « عبقرية » الشعب المصرى **الممثلة فى « فولكلوره » ولغته وسماته الاجتماعية والنفسية الأساسية** قد أهدرت تماما ولم يتجه اليها الكتاب والمفكرون كمنبع من منابع الثقافة القومية .

ويحدث كل ذلك ونحن نعلم ، كما أوضحنا من قبل ، أن المجتمع المصرى قديم ومستمر ومستقر ثقافيا **استقرارا نسبيا** . وهو مجتمع ذو تراث ثقافى ثرى وخصيب كذلك . فالتاريخ يسجل ان مصر لم يكن لها نيل واحد يفيض على أرضها بغزير مائه . فما النيل الا نهر من عدة أنهار . فهناك نهر الديانات ، وهو أطول أنهار الدنيا ظهر مع

الخوف من المجهول والاحتماء والاستسلام لعدد من الآلهة ، انتهى بالايمان باله واحد • ثم جاءت المسيحية ، ثم جاء الاسلام • وثمة نهر ثالث احتوى الثقافات المختلفة والعلوم والمدنيات والميثولوجيات ، وهى اشعاعات انسانية اندمجت بعضها فى بعض فى وحدة أسهمت فى تطور الانسان واستمرار نمائه وحيويته • وساير تلك الأنهار نهر آخر هو اللباس المتغير الذى كانت تظهر به الديانات والميثولوجيات والثقافات والمدنيات كلما انتقلت من صورة الى غيرها ، وتغيرت من عقيدة الى أخرى • وهو مجرى الفنون من عمارة ونحت وتصوير وموسيقى وألحان وشعر وأدب • على أننا لا ننسى أيضا أن مصر ملتقى الطرق والبحار وخاصة البحر الأبيض المتوسط ، ونسيمه العاطر الذى حمل الى مصر المدنية اليونانية والرومانية التى عاشت فيها ما يقرب من الألف عام (من عام ٣٣٢ ق•م الى عام ٦٤٠ م) • فاختلطت روحانية مصر وقصصها الدينى بالميثولوجيا اليونانية والرومانية التى تأثرت نوعا بالحضارة السامية فى عقيدتها • فلما دخلت المسيحية ثم الاسلام الى مصر لم يجدا فى شعب مصر أرضا بكرا أو صحراء جرداء • لأن مصر كانت تعرف « أوزيريس » واستشهاده ، ثم بعثه • كما تعرف شقيقته « ايزيس » قبل أن يطرق آذانها صوت البشارة المرقسية عن « الفادى المخلص » وأمه « مريم العذراء » • وكذلك كانت تعرف الوحدانية العالمية (التى دعا اليها « اخناتون » المصلح الدينى الذى سبق نظيره الأوربى « مارتن لوثر » **بتسعة وعشرين قرنا**) قبل أن يغزو أرضها جيش « عمرو بن العاص » • لهذا لما احتضنت مصر تعاليم هذين الدينين تمثلت رموزهما وأسرارهما الشبيهة اشد الشبه بما كانت تعى من رموز وأسرار (٨) •

والملاحظ أن المفاهيم الثقافية تتطور وتتغير . واذا بقيت بألفاظهم فان معانيها فى ضوء الظروف الثقافية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية فى المجتمع تتطور وتتغير كذلك . فقد يعنى لفظ المفهوم معنى معينا فى ضوء ظروف معينة . وفى ضوء ظروف أخرى قد يعنى معنى آخر . والأمثلة على ذلك عديدة . فالصبر كقيمة اجتماعية ، قد يعنى فى بساطة « حبس النفس عن الجزع » ، والصبر بهذا المعنى قيمة اجتماعية ايجابية . فالحياة الانسانية لا تخلو من الجزع ، وهى كذلك لا تخلو من الطمأنينة . ومع ذلك فاننا نلاحظ أن مفهوم الصبر لا يعنى حبس النفس عن الجزع دائما . فقد يكون صبرا على الضيم ، وقد يكون صبرا على الاهانة ، وقد يكون اذعانا الى حد الذلة والضعة ، وقد يكون صبرا على المشاق اللاانسانية ، وقد يكون صبرا على ضياع الحقوق ! (ورد مفهوم « الصبر » لفظه ومشتقاته فى الكتاب المقدس ، فى اسفاره واصحاحاته ٥٢ مرة . كما ورد هذا المفهوم ، لفظه ومشتقاته فى القرآن الكريم ، فى سوره وآياته ١٠٣ مرات) .

ومثل مفهوم « الصبر » نلاحظ تغير معنى مفهوم « المجاملة » فالمجاملة كقيمة اجتماعية تعنى فى بساطة « المعاملة بالجميل » ، أى معاملة الناس بعضهم البعض بالجميل . أى التعامل الاجتماعى فى ضوء قيمة العرفان بالجميل أو توقيع أدائه فى بعض المواقف الاجتماعية من الآخرين . والملاحظ أن قيمة المجاملة بمعنى المعاملة بالجميل قيمة انسانية سوية . فالعرفان بالجميل موضوع انسانى محبب . وتوقع أداء الجميل فى بعض المواقف الاجتماعية من الآخرين ييسر التكافل الاجتماعى بين الناس . وفضلا عن ذلك فان مجاملة الأقوياء وذوى السلطة للمستضعفين **فى الحق** تعنى العمل

الصالح . ومع ذلك نجد أن قيمة المجاملة تنبت وتترعرع فى المجتمع حيث توجد العصبيات وحيث توجد ألوان معينة من التعصب ، أو حيث تكون الثقة فى العدالة واهية ويكون سلطان القانون ضعيفا ، أو حيث تفتقد الروح الديمقراطية بأنماطها . ونلاحظ أن قيمة المجاملة اذ تنبت فى هذا المجتمع تعنى معنى آخر غير سوى ، وتصبح شرا بدلا من أن تكون خيرا . واذا كانت مجالات ممارسة قيمة المجاملة غير السوية عديدة حيث نجد مداها يتسع عبر الحياة ، منذ لحظة الميلاد وحتى الوفاة وبعد الوفاة ، فان هذه المجاملات توجد أكثر فى محيط المستضعفين ، فالمستضعفون من أعضاء المجتمع المصرى (وربما من أعضاء بعض المجتمعات الأخرى) أكثر عرفانا بالجميل من الأقوياء سواء كانت قوتهم مادية أو غير مادية . لأن الأخيرين يتوقعون عادة أداء الجميل لهم ولا ينتظر منهم أحد عرفانا به . ومن ثم يصبح معنى قيمة المجاملة « السوية » شيئا آخر غير « المعاملة بالجميل » (٩) .

ومع ذلك فاننا نلاحظ أن قيما مثل قيمة « التعاون » أو مثل قيمة « الشعور بالانتماء » قد يمارسها الأخيار من أعضاء المجتمع كما يمارسها الأشرار منهم ، فالجماعة الخيرة قد تتعاون فى سبيل البناء والعمل الصالح ويشعر أعضاؤها بالانتماء اليها ويفخرون من أجل ذلك . والجماعة الشريرة (كعصابة اللصوص مثلا) يتعاون أعضاؤها أيضا ويشعرون بالانتماء اليها ويفخرون من أجل ذلك ولكن فى سبيل الهدم والعمل الطالح . ومن ثم فاننا نجد أنه على الرغم من أن معنى القيمة لم يتغير فان هدف الممارسة هو الذى تغير . وتباين أهداف ممارسة القيم فى المجتمع لا يأتى من فراغ فهو يعكس الظروف الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تتيح أولا الممارسة الايجابية (١٠) .

ومن المعوقات الثقافية التى تقف فى سبيل النهوض بمجتمعنا المصرى المعاصر ، ما نجده من القيم المتناقضة التى يمارسها أعضاء المجتمع فى المجالات المتماثلة · تلك القيم التى يقف الانسان المصرى حائرا لا يعرف كيف يسلك السلوك المتوقع ، وربما يحس بالاغتراب أو يعيش فى ظل مواقف اجتماعية تسود فيها حالة من حالات اللامعيارية (Anomie) أو تلك القيم التى قد يتزرع بها الانسان المصرى ليتجنب عن طريقها - عن وعى - مواقف الحرج · ولعل وجود هذه القيم المتناقضة أن يرجع الى ظاهرة التغيير الثقافى الاجتماعى التى يواجهها المجتمع المصرى فى الوقت الراهن · أو أن يرجع هذا الوجود الى قدم المجتمع المصرى ، كما يرجع الى استمرار هذا المجتمع · وربما أن يرجع هذا الوجود الى التغيرات العديدة التى واجهها المجتمع المصرى فى خلال عمره الطويل **وأهمها التغيرات فى الحكام من غير المصريين والتغيرات فى اللغة فضلا عن التغيرات فى الدين** · ومهما يكن من الأمر فان هذه القيم تستحق الدراسة لكى تفهم فهما موضوعيا يمكن فى ضوئه أن توجه أو تواجه ·

ومن الأمثلة على ذلك ما تتضمنه الأمثلة الشعبية المصرية التالية من قيم :

- « اللقمة الهنية تكفى مية »
و « اللى لك محرم على غيرك »

- « القرش الأبيض ينفع فى اليوم الأسود »
و « اصرف ما فى الجيب يأتيك ما فى الغيب »

- « القفة اللى لها ودنين يشيلوها اتنين »
و « قط ملك ولا جمل شرك »

ـ « كلنا ولاد تسعة »
و « الناس مقامات »

ـ « الرزق يحب الخفية والمبدر رزقه اكتر »
و « الأرزاق على الخلاق »

ـ « اللى اوله شرط آخره نور »
و « اللى من نصيبك راح يصيبك »

ـ كل اناء بما فيه ينضح »
و « يخلق من ضهر العالم فاسد ومن ضهر الفاسد عالم » (١١)

ـ ٦ ـ

والملاحظ أن الثقافة المصرية فى ضوء ظروف العصر الراهن فى صراع حاد مع الجديد الذى يأتى به تراث الانسان فى العالم المتقدم فى هذا العصر ، عصر الربع الأخير من القرن العشرين . **ولعل هذ الصراع أن يرجع فى رأى الباحث الى الاتجاه غير العلمى السائد وبخاصة فى الريف** . أن تفكير الفلاح المصرى فى معظم الحالات تفكير حسى . أى انه لا يزال يعتقد فيما يراه ويحس . فعند محاولة استبدال مورد المياه لأول مرة فى احدى قرى الريف المصرى بدلا من مياه الترعة الضـــارة (المصدر الرئيسى لمرض البلهارسيا ومرض الانكلستوما) ، كان حفر الآبار الجديدة أمرا سهلا ميسورا ، ولكن اقناع أهل القرية باستخدام مياهها كان الأمر الصعب . فعندهم ماء النيل أحسن ماء للشرب . **أليس هذا الماء من صنع الله ؟ وهل يصنع الله شيئا ضارا ؟** ولم يرجع أهل القرية عن هذا الاتجاه الا عندما أراهم الشخص المسئول **بالمجهر** الفرق الواضح بين ماء النيل الذى يجرى فى الترع وماء الآبار الجديدة .

ورأى زعماء القرية التقليديون ، امام المسجد وناظر المدرسة والعمدة وشيخ البلد ، الفرق واقتنعوا ٠

وعند عرض آلات الدرس الحديثة على الفلاحين المصريين لكى يستخدموها حتى يمكن معرفة مقدار ما ينتجون من القمح معرفة دقيقة ، رفضوها ٠ وفضلوا عليها استخدام « النورج » **الطريقة القديمة** ٠ أى أنهم فضلوا أن يضيع وقتهم ومجهوداتهم وأن يضيع بعض المحصول وذلك بتركه فى الأرض باقيا أو تتأكله الطيور ٠ لقد فضل الفلاحون المصريون الطريقة القديمة ، ويقول الواحد منهم مبررا هذا التصرف : « ان المحصول سر بينى وبين ربى لا أريد أن يعرفه أحد » (١٢) ٠

وليس أهل الريف المصرى ، أو معظمهم ، وحدهم ، ينظرون الى الحياة أو حتى الى الموت هذه النظرة غير العلمية ، بل نجد من القادة الثقافيين فى مجتمعنا المصرى المعاصر من يدعو الى مثل هذه الدعوة بل الى ما هو أضر منها ٠ نجد هذا البعض يستغل الفرصة ويكتب فى الصحف اليومية أو فى المجلات الاسبوعية أو فى غيرها أشياء غريبة لا تمت بصلة من قريب أو من بعيد الى الظروف الجديدة لمجتمعنا المصرى المعاصر الذى يحاول جادا اعادة بناء نفسه من جديد حتى يحقق هدفه أو أهدافه فى التغيير الى الأفضل ٠ نجد مثلا من ينشر أمورا عن « السحر وقراءة الكف والفنجان والرمل والودع والمندل وقراءة السحب والبرق وأوراق الشجر والعمل والنفخ فى العقد والرؤيا الصادقة واستحضار الأرواح وتجسيدها ٠٠ » ٠ ويعلق على ذلك ، وهو يعلم ما خلفته الدهور والأزمان من قيم ثقافية اجتماعية معوقة التى تعيش فى المناخ الثقافى الاجتماعى المصرى المعاصر **لا تزال** تعمل فى نفوس أعضاء المجتمع وتوجه سلوكهم عن طريق بعض العادات والتقاليد وتأثيرها وتشكل عادة

الصراع الكبير بين القديم والجديد ، قائلا : « أهم من ذلك : الايمان بأن هذا ممكن • ومعقول • ولا يتنافى مع العلم أو الدين ! وان العقل لا يستطيع أن يرفض ذلك ، لأن العقل محدود • والدين يؤكد ذلك ! (١٣) •

والملاحظ أن الصراع بين المعايير الثقافية أو المعايير السلوكية فى محيط الأسرة المصرية هو فى الواقع صراع ثقافى ، وهو فى الأغلب الأعم صراع قيمى بين الآباء والأبناء • والملاحظ أيضا أن الصراع القيمى هو على وجه العموم ، كأى صراع اجتماعى ، صراع بين القديم وبين الجديد • وفى الأسرة يكون هذا الصراع بالضرورة صرعا بين الأجيال • وفى ضوء نتائج احدى الدراسات الواقعية التى قام الباحث باجرائها فى محيط الشباب المصرى ، وبخاصة ما تعلق منها بنظرة الشبان المصريين غير المتزوجين نحو المرأة المصرية المعاصرة (سواء أكانت أما أم أختا أم زميلة أم صديقة أم صديقة م زوجة أم ابنة) وما تعلق منها بنظرة الشابات المصريات غير المتزوجات نحو الرجل المصرى المعاصر (سواء أكان أبا أم أخا أم زميلا أم صديقا أم زوجا أم ابنا) • وجد الباحث ألوانا شتى من الصراع بين الأجيال • **منها على سبيل المثال ما يتعلق بمعاملة الآباء ومعاملة الأمهات وبالاختلاط بين الجنسين واختيار الأصدقاء أو الصديقات واختيار الزوج أو الزوجة (١٤) •**

● ●

وفى ضوء كل ما سبق لعل القارىء قد لاحظ ليس فقط وجود الازدواجية (بالمعنى الذى تبنته الدراسة الحالية) فى التراث الثقافى المصرى ، بل أيضا وجودها فى التراث الدينى المصرى • فالدين ، كما سبق القول ، جزء من ثقافة المجتمع أى مجتمع •

والدراسة الحالية لا تعنى التراث الدينى المصرى على اطلاقه ، بل هى تهتم بتراث الدين الاسلامى على وجه الخصوص · ولا يمكن أن تضم هذه الدراسة تراث الدين الاسلامى كله ، ولكنها تعنى أول ما تعنى ، فى ضوء خبرة الباحث ، بابراز ازدواجية هذا التراث ، أى التناقض الواضح بين ما يقال عن هذا التـراث **نظريا** وبين ما يمارس فعلا فى **الواقع الحى** فى المجتمع المصرى المعاصر فى بعض المجالات · والمقصود بخبرة الباحث هنا ، كما لا يخفى على القارىء ، هو خبرته المنتظمة ، أى خبرته التى تمثلها عن طريق نتائج دراساته وبحوثه فى المجتمع المصرى المعاصر ·

وتدور المجالات التى اهتمت بها الدراسة الحالية حول :

- الازدواجية فى العقيدة ·
- الازدواجية فى العبادة ·
- الازدواجية فى المعاملة ·

- ٧ -

يدعو الدين الاسلامى على المستوى النظرى الى أن لا خضوع الا لله ، وأن لا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، وأن لا خوف الا من الله ، وأن لا فضل الا من عند الله ·

« قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شىء »

(الأنعام : ١٦٤)

و « وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شىء قدير »

(الأنعام : ١٧)

و « قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم »

(الأنعام : ١٤)

و « أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه ومن يضلل الله فما له من هاد »

(الزمر : ٣٦)

و « الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل »

(آل عمران : ١٧٣)

و « واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان »

(البقرة : ١٨٦)

و « وقال ربكم ادعونى أستجب لكم »

(غافر : ٦٠)

و « ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا »

(الكهف : ٢٦)

« ان الحكم الا لله أمر الا تعبدوا الا اياه »

(يوسف : ٤٠)

والملاحظ ان الآيات القرآنية السابقة تؤكد ، على المستوى النظرى ، المعانى التى تنفر من الشرك ومن الوثنية بكل صورها ، وتدعو الى التوحيد الخالص والعبادة لله الذى تعنو له الوجوه ٠ كما تدعو الى التوكل على الله وحده ، فالتوكل على الله وحده ضرورة يحتاج اليها المؤمنون :

« وتوكل على الحى الذى لا يموت »
(الفرقان : ٥٨)

و « وعلى الله فليتوكل المؤمنون »
(ابراهيم : ١١)

و « ومن يتوكل على الله فهو حسبه »
(الطلاق : ٣)

ولعل الحديث النبوى الذى رواه الترمذى عن ابن عباس أن يوضح بعض المعانى السابقة :

« احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرف الى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، واذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لا ينفعوك الا بشىء قد كتبه الله لك ، وان اجتمعوا على أن يضروك بشىء لا يضروك الا بشىء قد كتبه الله عليك ٠٠ رفعت الأقلام وجفت الصحف » ٠

وعلى الرغم من كل ذلك فان الباحث منذ مساء يوم السبت ١٠ من شهر مايو عام ١٩٥٨ م ، الموافق ٢١ من شهر شوال عام ١٩٧٧ هـ ، وهو اليوم الذى استطاع أن يحصل فيه على ١٦٣ رسالة مرسلة بالبريد الى ضريح « الامام الشافعى » بقسم الخليفة بمدينة القاهرة ، ثم عكف على دراسة هذه الرسائل ، وانتهى الى بعض النتائج ، ثم نشرها فى عام ١٩٦٥ فى كتاب عنوانه : « من ملامح المجتمع المصرى المعاصر : ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى » (١٥) ٠ منذ تلك الفترة وحتى الآن والباحث يجد فى النتائج المشار اليها ما يذهله ٠ ولعل مرور الوقت

واتساع دائرة نشاطات الباحث الثقافية قد يخففان من حدة هذا الذهول • وذلك لأنه لاحظ أن مرسلى الرسائل (وكلهم من المصريين المسلمين) يخاطبون « الامام الشافعى » **وكأنه شخص حى** وذلك على الرغم من مرور أكثر من ألف ومائة وخمسين عاما هجريا أو ما يقرب من ألف ومائة وخمسين عاما ميلاديا منذ وفاته (عام ٢٠٤ هجرية الموافق عام ٨١٩ ميلادية) حتى نشر نتائج دراسة الرسائل المرسلة بالبريد الى « ضريح امام الشافعى » المشار اليها • وقد لاحظ الباحث أيضا أن مرسلى الرسائل وهم يخاطبون الامام الشافعى سواء فى العناوين أو عن طريق توجيه الرسائل أو فى بداية الرسائل أو فى خاتمتها ، أنهم يخلعون عليه فى معظم الأحيان ألقاب التعظيم **وكأنه شخص ذو سلطان يعيش بينهم** • فهو مثلا « صاحب المقام الرفيع » (من أرفع ألقاب الدولة قبل ثورة عام ١٩٥٢) وهو «صاحب الموكب العظيم» وهو « صاحب السيادة والفضيلة المحترم صاحب المجد والشرف » وهو « السيد وتاج الرأس » وهو « المولى » وهو « الامام الأعظم » وهو « البطل الشهير » وهو « السيد الذى تقبل يده » وهو « السيد الذى يتمتع ببركاته » وهو « قاضى الشريعة » • وقد لاحظ الباحث كذلك أن بعض المرسلين لا يكتب اسمه مكتفيا ببعض الأسماء الرمزية أهمها « العارف لا يعرف » وكأنه يعنى أن الامام الشافعى يعرف كل شىء فهو ليس فى حاجة **الى أن يعرف بشىء** • واذا كانت الرسالة تتضمن شكوى فقد لا يذكر مرسلها اسم المشكو فى حقه لأنه يعرفه ، ولكنه اذ يخاطب الامام الشافعى موقن ، صراحة أو ضمنا ، بأن الامام لابد أنه يعلم بصفة شخصية هذا المشكو فى حقه • فهو الامام الملهم ذو البصيرة التى تخترق الحجب والأستار • ومنهم من لا يذكر موضوع الشكوى (اذا كانت الرسالة تتضمن شكوى) أو موضوع الطلب (اذا كانت الرسالة تتضمن طلبا) ، أو بعض التفاصيل عن ذلك معتمدا على فراسة الامام الشافعى والهامه • ومنهم من يكتب كلاما غير قابل للقراءة أو كلاما لا يبدو عليه شكل الكلام العربى أو يكتب كتابة

مضغوطة استعمل لها سن قلم ليس فيه حبر ، كأن بينهم وبين الامام الشــافعى أسرارا رهيبة لا يريدون كشــفها الا له • فهــم يخاطبونه بلغة الأحاجى والألغاز أو بلغة أقرب ما تكون الى لغة « الشفرة » • ويؤكد مرسلو الرسائل المشــار اليهــا فيها تعــدد اختصاصات الامام الشافعى • فهم اذ يشكون اليه ، تجدهم يبرزون قدرته على النظر فى أنواع متعددة من الشكوى فهو قادر على النظر فى شــكاوى الاعتداء على الأموال ، وفى شــكاوى الاعتداء على الأشخاص ، وفى الشكاوى المتعلقة بمشاكل الأسرة أو بمشــاكل العمل • وهم اذ يطلبون منه طلبات ، تجدهم يظهرون قدرة الامام الشافعى على الانتقــام لهم من أعدائهم بكــل وسيلة من وســائل الانتقــام ، قدرة قد يقوم بها بشر أو قدرة خارقة **ليست فى مستوى قدرات البشر** • أو يظهرون أن الامام الشافعى قادر على أن يحكم بينهم وبين أعدائهم بالعدل وانه قادر على رفع الظلم الذى يحيق ببعضهم • والامام الشافعى عندهم قادر أيضا على نقل من يريد أن ينقل من مكان الى آخر وعلى اجابة طلب من يريد عملا أو يرغب فى العودة الى عمــل • وهو قــادر على الشفاء من المرض ، وعلى تشجيع رجل ليتزوج من امرأة اخرى ، وعلى اعادة شخص غائب أو شىء مفقود • وهو قادر على فناء « اسرائيل » ، وأخيرا هو قادر **على عقد جلسة هيئة المحكمة الباطنية (١٦)** •

وقد وجد الباحث توســل بعض مرسلى الرســائل بالامــام الشافعى الى الله جل وعلا ، ووجد فى الوقت نفسه التوسل بالامام الشافعى الى النبى صلى الله عليه وسلم • ومن الغريب أن وجــد الباحث **بعض مرسلى الرسائل يتوسلون بالله جل وعلا الى الامام الشافعى نفسه** ! ووجد أيضــا من يتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم الى الامــام الشــافعى ، ومن يتوسل بالأوليــاء الى الامام الشافعى ! (يلاحظ أن لمفهوم « الولى » العديد من المعانى • وفى هذه

الدراسة هو على وجه العموم الشخص المتوفى الذى يعتقد فى أنه يتمتع بالبركة التى تمكنه من اتيان المعجزات أو « الكرامات » ومن ثم يكون له نفوذ وأثير فى مصائر الأحياء) • وقد وصف بعض مرسلى الرسائل الامام الشافعى بأنه (الحق) وأنه (الوكيل المتصرف) وأنه (السيد الملاذ) • وقد يخاطبه شخص بقوله (وحسبى الله وأنت الوكيل) ، وتعاتبه سيدة لأنها سبق أن أرسلت اليه رسالة ولم « يخلص لها حقها » ثم تحتج عليه وتقول له : « واذا كان يخلصك كده يبقى بلاش تشرع بين الناس بالله عليك » • بل لقد كتب اليه أحدهم قائلا : « وأنا زعلان وصعبان على من الله جل وعلا ! وان دلت هذه الأمثلة على شىء فانما تدل على ما بلغت اليه مكانة الامام الشافعى عند بعض المصريين من المسلمين ، وهى مكانة تبدو أعلا من مكانة بعض الملوك والحكام بل هى أقرب الى مكانة الله الكريم المتعال ، رب الملوك والحكام ، بل رب الأرباب ، عند المسلمين كافة من المصريين ومن غير المصريين (١٧) •

وقد لاحظ الباحث أن بعض مرسلى الرسائل ، فى بعض الأحيان ، يطلبون اشراك أولياء آخرين فى نظر الشكوى التى تتضمنها رسائلهم أو فى تحقيق طلباتهم ان وجدت هذه الطلبات • ويبدو أن هؤلاء لا يكفيهم الشكوى الى الله جل وعلا والطلب منه والامام الشافعى وساطة اليه ، أو الشكوى الى الامام الشافعى والطلب منه والله جل وعلا وساطة اليه ، وكذلك النبى محمد عليه الصلاة والسلام فى بعض الأحيان • وهؤلاء لا يكفيهم كل هذا وانما نجدهم يطلبون ويلحون فى الطلب أن يشترك أولياء آخرون فى نظر الشكوى وتحقيق الطلبات • فهم آل البيت وهم أولياء الله ، ومرسلو الرسائل (على مددهم) ومن (محاسيبهم : والمحسوب منسوب ولو كان معيوب !) • ولا جدال فى أن طلبات مرسلى

الرسائل الخاصة **بعقد جلسة هيئة المحكمة الباطنية** ، تؤكد لنا دور الامام الشافعي فيها • وهؤلاء الأشخاص يعتقدون كما يبدو بوجود محكمة معينة فى العالم الباطنى أو السفلى • ويبدو أنهم توارثوا هذه العقيدة **ثقافيا** من الماضى السحيق • وهى محكمة لها بالضرورة تشكيلها الخاص ووظائفها الخاصة كذلك • ويرسل هؤلاء رسائلهم الى الامام الشافعى بوصفه قاضيا للشريعة • وكل شكوى تتضمنها الرسـائل تعتبر فى نظـر مرسليها « قضية » يطلبون من الامام وأعضاء المحكمة الباطنية البت فيها فى احدى الجلسات ، ويكون الطلب عادة فى أقرب أو أسرع جلسة • وهناك بعض الحالات قد يطلب من الامام البت فى القضية وحده أو التحكيم فيها وحده أو بالاشتراك مع بعض الأولياء فى بعض الأحيان • وفى هذه الحالات لا يذكر عقد احدى الجلسات صراحة • وتكـون الصيغة المعتـادة للطلبات الخاصة بالنظر فى القضية أن يكون ذلك (بأقرب جلسة والحكم بالنفاذ ويكون ذلك الحكم مشمولا بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الكرام والاربعة الأئمة والاربعة الأقطاب وصاحبة الشـورى رئيسة الديوان السيدة زينب بنت الامام على رضى الله عنها وأرضاها وأخويها الحسن والحسين وجميع الأولياء •••) • وقد لاحظ الباحث أن النص على « سـيدنا الحسـن (وخصوصا بالأكثر) سيدنا الحسين والسيدة زينب بنت فاطمة الزهراء » هو السائد بين الأولياء الذين يذكرهم مرسلو الرسائل • وقد يضاف الى هؤلاء فضلا عن الامام الشافعى السيدة نفيسة وقطب الرجـال المتولى (بالكـون) وسيدى الرفاعى والامـام الليثى • واذا كان تشكيل المحكمة الباطنية قد ذكر ضمنا لا صراحة فالملاحظ أن طلب الحكم يكون النفاذ (ويكون ذلك الحكـم مشـمولا بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم وخلفائه الكـرام والأربعة الأئمـة والاربعة الأقطاب وصاحبة الشورى رئيسة الديوان •• الخ) كما سبق أن أوضحنا • ومع ذلك فقد نجد فى احدى الرسائل يطلب مرسلها من

الامام الشافعى « بأنك تحضر معك فى الجلسة الشريفة سيدنا الحسن وسيدنا الحسين والست زينب أم هاشم وجميع أهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم (*) » (١٨) .

● ●

والعقيدة الاسلامية الخالصة ، على المستوى النظرى ، تنفر من ألوان السحر واتيان الكهان والعرافين والمنجمين بالرمل والحصى أو نحو ذلك وتصديقهم . والتراث الاسلامى النظرى مملوء بالترهيب من كل ذلك . فالسحر هو تلويث للعقيدة ، « ومن سحر فقد أشرك » (حديث نبوى عن أبى هريرة رواه النسائى) . و « ليس منا من تطير ، أو تطير له ، أو تكهن ، أو تكهن له ، أو سحر ، أو سحر له ، ومن أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » (حديث نبوى عن عمران بن حصين رواه الطبرانى عن ابن عباس دون قوله : ومن أتى الى آخره) .

ويفسر البعض بأن السحر « عزائم ورقى وعقد يؤثر فى القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه ، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه » :

« فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه »
(البقرة : ١٠٢)

و « قل أعوذ برب الفلق ، من شر ما خلق ، ومن شر غاسق اذا وقب ، ومن شر النفاثات فى العقد »
(الفلق : ١ ــ ٤)

(*) أنظر الملحق رقم (١) .

ومهما يكن من الأمر فان التراث الاسلامى النظرى يرى أنه ليس بصحيح اعتبار للسحر تخييلا لا حقيقة على وجه الاطلاق ، بل منه ما هو تخييل ومنه ما له حقيقة كما يفهم مما تقدم ، وأن السحر حرام :

« ولا يفلح الساحر حيث أتى »

(طه : ٦٩) (١٩)

وفى ضوء احدى الدراســات التى قام باجرائها الباحث عما يسمى بـ « علم الحكمة » الذى له فى تراثنا الثقافى المعاصر مكان مرموق ، وجد أن « الحكيم » هو الذى يعلم بالاسم الأعظم الجامع لما فى الموجودات وأسباب الكائنات ، لأن الأسرار الرفيعة المكونة لا سبيل لنيلها الا به . وقد يرى بعض الحكماء ، أن كل اسم من الأسماء الحسنى اسم عظيم فى حق من وافقه وتقرب أو دعا به . وجعلوا لذلك سبع وسائل هى :

- علم الاعداد .
- علم الأوفاق .
- علم الحروف .
- علم الطبائع الأربعة .
- علم الكواكب والأفلاك والبروج والمنازل .
- علم الاختبــارات النجومية وسـعدها ونحسـها وشـرفها واتصالاتها .
- علم الأسماء والرقى والدعوات .

وميادين هذه العلـوم تتضمن كل ما يتعلق بالتصريف بسر الخالق فى المخلوقات . وقد الف فى العلوم السبعة المشـار اليهـا مؤلفون كثيرون . ونشروا ما الفوه من كتب وكتيبات **لا تزال تجد الرواج فى مجتمعنا المصرى المعاصر حتى الآن** . ومن هـذه الكتب نجد كتاب : « منبع أصول الحكمة » (للامام ابى العباس احمد بن على البوني) ، ويتضمن أربع رسائل من العلوم الحرفية والوفقية والدعوات والأقسام هى : الأصول والضوابط وبغيـة المشـتاق فى معرفة وضع الأوفاق وشرح البرهنية المعروف (بشرح العهد القديم) وشرح الجلجلوتية الكبرى . وللامام البونى ايضا كتاب : « شمس المعارف ولطائف العوارف » ، ويتضمن أربعـة أجزاء تحتوى على اربعين فصلا واربع رسائل وهى : ميزان العدل فى مقاصد أحكام الرمل ، وفواتح الرغائب فى خصوصيات الكواكب ، وزهر المروج فى دلائل البروج ، ولطائف الاشارة فى خصائص الكواكب السيارة . ومن الكتيبات التى الفت حول هذه العلوم نجد كتيبا يحمل عنوان : « المندل والخاتم السليمانى والعلـم الروحانى للامام الغزالى » ، وهو من تأليف عبد الفتاح السيد الطوخى . ويتضمن ، كما يقول المؤلف ، جملة أبواب وأقسام وطلاسـم وفوائد وأوفـاق فى علـم الروحانى . وللطوخى كتيبات أخرى عديدة منها : « النور الربانى فى العلـم الروحانى » الذى حوى كما يقـول المؤلف : « كثيرا من الفوائد العظيمة المجربة التى يحتاج اليها كل فرد فى **جميع حوائجه** » ومنها كتيبـات « دليـل الحيران فى طالع الانسـان » و « الزايرجة الهندسية فى كشف الأسرار الخفيـة و « الأسرار فى علم الأخيار » و « اغاثة المظلوم فى كشف اسرار العلوم » و « **سحر الكهان** فى حضور الجان » و « البيان فى **علم الكونشينة والفنجان** » و « هداية العبـاد فى أسرار الحروف والأعـداد » و « الكبـاريت فى اخـراج العفاريت المشـتمل على القدرة الالهيـة فى المعالجـة الروحانية ، والحكمة الربانية **فى المعالجة الجنسية** ، وكشف اللثـام عن جعفر

الامام » و « القواعد الفلكية فى عمل النتائج السنوية » و « الدرة البهية فى **العلوم الرملية** » و « أحكام الحكيم فى **علم التنجيم** » و « النجاح فى علوم النفس والتنويم والأرواح » (*) .

وفى ضوء ما سبق يلاحظ القارىء المعانى العديدة لمفهوم « العلم » . **ان هذا المفهوم على الرغم من بقاء لفظه على ما هو عليه فأن معانيه متباينة** . والمعروف أن مفهوم العلم يعنى ، موضوعيا ، « نظرة نحو الحياة أو منهجا لفهم هذه الحياة » ، وهو يسعى دائما الى التعرف على القوانين التى تحكم الظواهر الطبيعية أو ظواهر المجتمع . وبهذا المعنى يلاحظ أن هذا المفهوم يتفق وعصر الربع الأخير من القرن العشرين . ان علم الحكمة (ويسمى أحيانا بـ « علم السميا » وهو لفظ معرب أصله « شيم » ومعناه الله تعالى) بفروعه السبعة أو بوسائله السبع لا يمكن أن يرقى الى علمنا المعاصر ، العلم الذى يدرس العلاقات بين الأشياء وقوانين حركتها الداخلية فى ضوء الطبيعة والمجتمع ، **وليس فى ضوء بعض المبادىء المنطقية والعمليات العقلية فحسب أو فى ضوء بعض المبادىء غير المنطقية والعمليات غير العقلية** . ان علمنا المعاصر يدرس الواقع الحى فى الطبيعة وفى المجتمع ، وهو اذ يفعل ذلك يحاول ناجحا أن يتسلط على الطبيعة وأن يخطط للمجتمع فى سبيل التغيير الى الأفضل . ان علم الحكمة فى ضوء منهجه ، لا يمكن أن يكون علما عصريا ، ولكنه لا يزال يملأ مناخنا الثقافى حتى الآن ولا يزال يجد مريدين فى كل أنحاء مجتمعنا المعاصر وبخاصة فى محيط سكان الريف وفى محيط الكثيرين من سكان الحضر .

واذا كان علم الحكمة يجافى العلم المعاصر بمعناه السابق ، فهو كما يلاحظ يجافى أيضا العقيدة الاسلامية الخالصة ويتناقض

(*) أنظر الملحق رقم (٢) .

مع ما تدعو اليه هذه العقيدة • أى أن الازدواجية واضحة أمام القارىء ليس فقط فى مجال التراث الثقافى المصرى بعامة بل أيضا فى مجال التراث الدينى بخاصة (٢٠) •

ويؤكد ذلك بعض النتائج التى وصل اليها الباحث فى احدى دراساته عن « مواجهة المجهول » عند بعض أعضاء مجتمعنا المعاصر • فقد تبين أن « المجهول » شىء رهيب عند بعض المصريين المعاصرين • فمن الدعوات التى تتردد فى محيط هؤلاء نجد « ربنا يكفينا شر المخبى » و « المخبى » هو المجهول • وهو يفصح فى ضوء هذا الدعاء عن مواقف عديدة متوقعة غير مستحبة أو غير مطلوبة ، يحاول أعضاء المجتمع المصرى المعاصر بهذا الدعاء أن يتجنبوها • ويلاحظ أن أسلوب مواجهة المجهول فى مجتمع ما يفصح عن المستوى الثقافى الذى وصل اليه أعضاء هذا المجتمع • فمنهم من يستعد لمواجهته ايجابيا ، ومنهم من يستعد لمواجهته سلبيا • ومنهم كما يفعل الكثير من أعضاء المجتمع المصرى المعاصر من يحاول أن يستبعده ، **أى يتجنبه بالدعاء ، أو يتجنبه بالرقى والتعاويذ أو ما يشبه الرقى والتعاويذ** • ويكفى أن يلاحظ أى شخص منا ما يكتبه بعض أصحاب السيارات واللوريات أو سائقوها فى مجتمعنا ، على نوافذ هذه السيارات واللوريات أو على جانب من جوانبها من كلمات أو عبارات تتضمن بعض الآيات القرآنية أحيانا ، أو تتضمن أحيانا أخرى بعض الأمثال الشعبية أو بعض الدعوات أو غيرها • كلمات وعبارات تعكس ما يرجونه من الوقاية من المواقف المتوقعة غير المستحبة أو غير المطلوبة كالحوادث مثلا أو غيرها من المعوقات المادية وغير المادية • وقد يعلق بعض أصحاب السيارات واللوريات أو سائقوها ، بالاضافة الى هذه الكلمات والعبارات أو بدونها ، أشياء معينة درءا للحمد أو طلبا للرزق أو رجاء الوقاية من المجهول • ومن الأمثلة على ذلك نجد من يعلق أمامه أو على عداد سيارة الأجرة

(التاكسى) « خمسة وخميسة » ، أو يعلق ما يرمز الى رقم خمسة ، أو نجد من يعلق مصحف القرآن الكريم من الحجم الصغير أو مسبحة أو حجابا أو عقدا من الودع أو من سنابل القمح أو قطعة من « الشبة » ، أو يعلق دمية على شكل « سمكة » أو « قرن شطة » أو « حدوة حصان » (٢١) ٠

وفى دراسة أخرى قام باجرائها الباحث عن محاولة التعرف على « المجهول » وذلك بقراءة « البخت » أو قراءة « الحظ » ، لاحظ أن هذا الأسلوب ينتشر فى محيط أعضاء المجتمع المصرى انتشارا عجيبا ٠ فقد وجد فى ضوء نتائج هذه الدراسة وهى عن « اتجاهات قراءة موضوع بختك اليوم فى الصحف اليومية » أن نحو ٧٥٪ من موظفى احدى المصالح الحكومية « **يواظبون** » على قراءة هذا الموضوع يوميا ٠ منهم من يقرؤه لمجرد التسلية ، ومنهم من يقرؤه لأنه يتفاءل بنتائج القراءة ، ومنهم من يقرؤه لأنه يقارن بين ما يقع وبين ما يتنبأ به ، **ومنهم من يقرؤه لأن ما يقرءوه يتحقق عادة ، ومنهم من يقرؤه لأنه يؤمن بنتائجه** ٠ مع ملاحظة أن هؤلاء الموظفين تتراوح أعمارهم ما بين ١٧ ـ ٥٥ عاما (منهم نحو ٦٣٪ لا تزيد أعمارهم على ثلاثين عاما) ، وأن نحو ٥٢٪ منهم من مواليد محافظة القاهرة ، وأن نسبة الذكور منهم نحو ٧٨٪ ، **ونسبة المسلمين منهم** نحو ٨٢٪ ، ونسبة المتزوجين منهم نحو ٥٠٪ ، وأن نحو ٩٠٪ منهم قد حصلوا على شهادات متوسطة ، وأن نحو ١٠٪ منهم قد حصلوا على شهادات عالية ٠

وقد تأكد للباحث عند عقد امتحان القبول فى أحد المعاهد العليا ، منذ وقت قريب ، أن حوالى خمسمائة من الطلاب ، نصفهم من الذكور ، ومن الحاصلين على شهادة الثانوية العامة أو ما يعادلها ، وتتراوح أعمارهم ما بين ١٧ ـ ٢٠ عاما ، يعرف كل واحد منهم

اسم « **البرج** » الذى ولد فيه ، حفظه عن ظهر قلب من القراءة فى الصحف اليومية أو الاسبوعية ٠

ويلاحظ أن من يقرءون « بختك اليوم » يزورون المقابر كثيرا ، كما يزورون أضرحة الأولياء والقديسين ويؤدون لهم النذور ويوفون بها ٠ وهم يؤدون فريضة الصلاة وفريضة الصوم ، ونسبة كبيرة **منهم يؤمنون بالأشباح ويمارسون عمليات البخور فى المناسبات وقراءة الفنجان والكف وعمل التمائم وفتح المندل** (٣٢) ٠

وهؤلاء وأولئك من أعضاء المجتمع المصرى المعاصر ، ولكنهم يتميزون بقسط من التعليم كما يتميزون بالشباب وبعض السلطان ٠ وربما علم بعض المسلمين منهم أن عقيدة الاسلام تؤكد أن الله وحده هو المطلع على الغيب وهو الذى يعلم الغيب :

« وما كان الله ليطلعكم على الغيب »

(آل عمران : ١٧٩)

و « قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب »

(الأنعام : ٥٠)

و « قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ان أنا الا نذير لقوم يؤمنون »

(الاعراف : ١٨٨)

وفى ضوء احدى الدراسات الواقعية التى قام الباحث باجرائها فى مجال الأمانى التى يرجو بعض أعضاء المجتمع المصرى المعاصر أن تتحقق ٠ أى ما يتوقع أن يطلبه هؤلاء عادة من أمور يريدونها

أن تتحقق ، نتيجة أن الطلبات المتوقعة عديدة جدا • ففى هذه الدراسة استخدم الباحث « أسلوب تحليل المضمون » فى تحليل مضمون ٢٥ « ورقة بخت صغيرة » يدفع عن كل وريقة من يحتاج اليها قرشا صاغا بقصد التعرف على مدى ما يتحقق من طلبات يضمرها فى نفسه • وكان يبيع هذه الوريقات رجل فى الاحتفال العام بمولد « الامام الحسين » فى مدينة القاهرة فى شهر ربيع ثانى من عام ١٣٩٩ هـ • وقد تحدد عدد الوريقات بهذا الرقم لأنها موضوعة فى صندوق خشبى يسحب منها الشخص المحتاج وريقة ويدفع قرشا • وتتكرر نفس الوريقات بعددها المحدد المشار اليه مرات ومرات ، ذلك لأنك تجد الناس زرافات ووحدانا متجمعين حول الصندوق الخشبى وكل يريد شراء وريقة ، ويذهب هؤلاء ويأتى آخرون وهكذا طوال فترة تبدأ عادة من بعد صلاة العصر حتى منتصف الليل • وكلما فرغ الصندوق من الوريقات يأتى الرجل بغيرها • وفى ضوء تحليل هذه الوريقات للتعرف على ما يتوقعه المشترون من أمور يريدونها أن تتحقق ، نتيجة أنها تتعلق بموضوعات : الاقبال والسعادة ، وعلو الشأن ، واشتهار الذكر ، والمعيشة المهنية والعز والرفاهية ، والحب والأحباب ، والصداقة والأصدقاء ، والانتصار على الأعداء ، وكيد الأعداء ، والفرج والنجاح ، والسفر أو الانتقال ، والغنى عن الناس ، والنجاة من الأفكار والأوهام ، والنجاة من المرض ، والرزق الواسع ، ومعاونة شخصية عالية ، وتحقيق الأمانى ، ومشروع خطبة أو الزواج ، والمال ، والانسجام مع الرؤساء أو من هم أكبر سنا ، والصحة والعافية ، ونيل المرتبة العالية ، ومسائل عاطفية ، وهدايا وتخطى الصعاب والعقبات ، والاستقرار ، والصبر ومسائل زواجية ، والحظ والفرص المتاحة ، والمضايقات ، والكراهية ، والحسد والحاسدين ، والحيرة والقلق ، والهم والغم ، وقضاء الحاجات والخدمات ، والأقرباء ،

والشركة مع الآخرين ، والكسب المفاجىء ، وافشاء الأسرار ، والسرور ، ومشرع جديد ، ومناسبات سعيدة ٠

ومن الأمثلة على ما تتضمنه احدى الوريقات نجد :

« أبشر أيها السائل بالعلو والرفعة وعلو الشأن والاقبال والسعادة وسيعلو قدرك ويشتهر ذكرك ويكون ذلك فى القريب العاجل ان شاء الله ٠ وتعيش عيشة هنية محمودة كلها عز ورفاهية وأنت دائما محبوب من جميع أحبابك وأصحابك » ٠

و « مسالة عاطفية تشغلك ومبلغ تدفعه مضطرا وعقبات كثيرة فى طريق تسوية مسائل تخصك وسيدة ظريفة تعقد معك اتفاقا ناجحا ، وشخصية عالية تكسب بفضل مساعدتها لك ٠ ونجاح يعزز مركزك وصداقة قديمة تتعاون معك فى مشروع جديد (*) (٢٣) ٠

- ٨ -

والعبادة فى الدين الاسلامى ، على المستوى النظرى ، هى ما فى ذلك من شك وليدة العقيدة ٠ ذلك لأن العبادة هى أقوى مظاهر الاعتراف بالفضل ٠ وفى هذا الضوء نلاحظ أن لمفهوم العبادة معانى وصورا عديدة ٠ فقد يقصد بهذا المفهوم أن يرى الله تعالى من عباده مدى امتثالهم لأمره ٠ والملاحظ أن الامتثال هو نوع من الطاعة **الا أنه أعلى درجاتها** ٠ فأنت تؤدى الصور العديدة للعبادة كما يقرها الدين الاسلامى لمجرد أن هذا الاداء أمر من الله جل وعلا

(*) أنظر الملحق رقم (٣) ٠

الذى آمنت به من قبل · وفى الامتثال معنى العبودية الكاملة التى أرادها الله حيث يقول :

« وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون »
(الذاريات : ٥٦)

وقد تعنى العبـادة وسيلة للتعـرف على الله والتعـرف اليه واستمداد العون منه باعتباره سبحانه وتعالى هو وحـده القـادر الفعال لما يريد · فالحياة الدنيا تتضمن الشرور والغرور التى قد تتسلط على قلب الانسان الذى يكون فى ضوء طبيعته ، كما يرى الدين الاســلامى ، ضعيفا لا يقوى على مدافعة هذه الشرور وهذا الغرور :

« يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا »
(النساء : ٢٨)

والعبادة قد تعنى الدور الأكبر فى تكوين الأمة · لأنها تكون الفرد وتصقل روحه وتصفى قلبه وتزكى نفسه وتغسل ، **بما فيها من مناجاة الله** ، صدره · فهو بها دائم التذكر لربه ، دائم الخوف من عذابه ، دائم الشوق الى جنته ، يرى الجنة دائما عن يمينه والنار عن شماله ، ومثل هذا لا يصدر منه الا فضائل الأعمال · وما الأمة الا مجموعة الجماعات التى تكونها ، وما الجماعة الا أفراد يعيشون فى علاقات اجتماعية دائمة فى نطاقها · فالشخص الفرد لا يتصور أنه يعيش فى فراغ ، فهو يعيش فى جماعة أو جماعات · وهذه كلها تعيش فى المجتمع بل هى قوام المجتمع الذى يكون الأمة أو يكون جزءا من الأمة :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »

(آل عمران : ١١٠)

والملاحظ أن « الذكر » على المستوى النظرى ، **هو راس الأعمال الصالحة** ٠ من وفق له فقد أعطي منشور الولاية ، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه ٠ ويوصى الرجل الذى قال له :

« ان شرائع الاسلام قد كثرت على ، فاخبرنى بشىء اتشبث به ٠ فيقول له : لا يزال فوك رطبا من ذكر الله ، ويقول لأصحابه : الا انبئكم بخير أعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق (بكسر الراء أى الفضة) وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ، ويضربوا أعناقكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : ذكر الله » ٠

(رواه الترمذى واحمد والحاكم وقال : صحيح الاسناد) (٢٤)

وفى احدى الدراسات التى قام الباحث باجرائها ، لاحظ أننا نحن المصريين نذكر الله كثيرا ٠ واننا فى ضوء عقائدنا وقيمنا الدينية الأصيلة لا ننسى الله ، ولا يمكن أن ننسى الله ٠ ونحن اذ نذكر الله تجرى على ألسنتنا وقلوبنا من تسبيحه جل وعلا وتنزيهه وحمده والثناء عليه ووصفه بصفات الكمال ونعوت الجلال والجمال ٠ (يذكر الله المصريون المسلمون كما يذكره جل وعلا المصريون المسيحيون على السواء ، وقد تتباين الفاظ الذكر ولكن معانيها متشابهة) ٠

وقد لاحظ الباحث وجود العديد من الجماعات الدينية (معظمها لن لم يكن كلها من جماعات الطرق الصوفية) (*) تهتم بالذكر والاذكار ، فنجد مثلا المسئول ينصح مريديه قائلا :

« أيها الانسان جدد التوبة فى غالب الأزمان واكثر من الاستغفار • والصلاة والسلام على السيد المختار واذكر مولاك • الذى على موائد كرمه رباك • واعلم أن هذه الأمور كلها تجوز من قيام وقعود • واضطجاع ورقود • وفى الخلوة والجلوة مع الاستدبار والاستقبال • والفراغ والاشتغال • بوضوء ومن غير وضوء ولو عليك جنابة • وان كان مع الوضوء وباقى الشروط أكمل فى الاثابة • والغرض أن لا تغفل عن الطاعة • كلما أمكنك حذرا من التفريط والاضاعة ، ولو كل ساعة مرة من ذلك • ليتصل بقلبك النور من السيد المالك وينفعك ذلك • عند ذكر مجلسك المخصوص فان قلبك حينئذ لا يتحول عن استحضار عظمة مولاك كأنه بنيان مرصوص • وتجده خاليا من التشويش والاختلاط • منشرحا للطاعة فى غاية القوة والنشاط • كل ذلك لاتصال قلبك بالأنوار • بسبب تجديد طاعتك بالنهار • اذ اللغو وترك العبادة موجب للكسل وشغل القلب وزيادة • واعلم أنه لا بدلك فى كل أربع وعشرين ساعة من مجلس مخصوص فى الليل أو النهار والليل أولى بعد فراغك من الشواغل بأن تتوضأ ان أمكن وتصلى من النفل ما تشاء ، واذا كان عليك فوائت صل منها بدلا من النفل لأن فعل الفرض مقدم على فعل النفل • ثم تستقبل القبلة ان أمكن وتقرأ ما تيسر من القرآن كالفاتحة وسورة تبارك الملك ان كنت حافظا لها وسورة الكافرون • ثم تجدد التوبة وتندم على ما فعلت من المخالفات وتحاسب نفسك

(*) كان عدد الطرق الصوفية فى عام ١٩١٠ م ، ٢٩ طريقة • وأصبح العدد فى عام ١٩٧٨ م طبقا للجدول الرسمى ٦٧ طريقة •

على ذلك محاسبة حقيقية شديدة **كأنها طفل بين يديك تريد تربيته بزجره بكل ما تقدر عليه** ، بمعنى انك تذكر لها كل ما وقع منها طوال النهار من المخالفات والتفريط والكسل وغير ذلك ، وتذكر لها العذاب الذى جعله الله تعالى للعاصين والثواب الذى أعده تعالى للطائعين ، فتحكم عليها أن تقبل على العبادة فى تلك الليلة بقدر ما ارتكبت من المعاصى أو أزيد اذ الحسنات تكفر السيئات ، والمحاسبة المذكورة من أهم الأمور المطلوبة • ثم تصلى وتسلم على النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم بأى صيغة مائة مرة فأزيد ، وينبغى الاكثار ليلة الجمعة • ثم تتجرد من الشواغل الدنيوية كلها ان أمكن أو بقدر ما يمكن لأنك تريد الدخول فى حضرة ربك التى هى كناية عن الاقبال التام على الله عز وجل والاعراض عن كل ما سواه **حتى عن نفسك** ، وأنت جالس فى مكان طاهر مظلم مطيب بالروائح الزكية كجلوسك للصلاة ، **واضعا يديك** على فخذيك مغمضا عينيك عما يشغل ، لأنك بتغميض العينين تنسد طرق الحواس الظاهرة وسدها يكون سببا لفتح حواس القلب ، لابسا لثياب بيض حلال مطيبات بالروائح البهية والفم والبدن مبعدا الروائح الكريهة لأن **الروحانيين** لا يقبلون الروائح الكريهة ، وانقطاعهم عن مجلس الذكر علامة عن انقطاع الخير • ثم تذكر فى الاسم الذى أذن « الشيخ » لك فيه بهمة تامة مستحضرا معنى ذلك الاسم فى قلبك ، حتى كأن قلبك هو الذاكر وأنت تسمعه ، متباعدا عن تحريف الأسماء كما هو الواقع من أغبياء جهلة متصوفة الزمان ، حيث يخرجون فيما يسمونه ذكرا عن صريح كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم ويحرفون تحريفا يؤدى الى الكفر والعياذ بالله تعالى ان لم يكن كفرا صريحا •• » (٢٥)

● ●

وفى ضوء اســتخدام الباحث لأسلوب « الملاحظــة » احيانا واسلوب « الملاحظة بالمشاركة » أحيانا أخرى ، تبين أن اجتماع اهل الطريقة (الصوفية) للذكر والانشاد أو ما يسمى بـ « الحضرة » يكــون بحضور « شيخ الطريقة » أو من ينوب عنه · ويقــال أن « اجتماع فاتباع » أى انها اجتماع لأهل الطريقة يتبعون فيها أداء شيخ الطريقة للذكر والانشاد · ولا تقام الحضرة فى مكان واحد · فهى تقام فى بيت أحد أبناء الطريقة ، وقد تقام داخل « الزوايا » فى القرى ، وقد تقام فى أحد المساجد مثل مسجد « الامام الحسين » بالقاهرة · وقد تناولت الدراسة التى اهتمت بموضوع « الانشاد فى الحضرة وفقا للطريقة الحامدية الشاذلية » الحضرة التى تقام بمسجد « الامام الحسين » بالذات · وهى تقام مساء كل يوم ثلاثاء اسبوعيا بعد صلاة العشاء · وتضم من الذاكرين من اهل الطريقة ومن غيرهم (بشرط أن يحترم الأخيرون النظام والتقاليد الروحية للحضرة) حوالى ألفين · وفى الحضرة الكبيرة يشترط أن تقام تحت اشراف « شيخ مشــايخ الطريقة » ويلقب ايضا بـ « شيخ السجادة » أو « صاحب السجادة » بمعنى « شيخ الطريقة » ·

والحضرة كشكل لتجمع اهــل الطريقة بقصد الذكر تخضــع لنظام معين فى ترتيب أماكن جلوس الحاضرين داخل المسجد (اذا اقيمت فى المسجد) · وشكل الحضرة على هذا الأساس يأخذ شكل مستطيل بداخله صفوف الذاكرين من اهل الطريقة · وفى أول صف للمنشدين على شمال موقع الشيخ يوجد موقع رئيس فرقة المنشدين بالقرب منه ، ثم صفان من المنشدين وخلفهما صفوف الذاكرين · وما وصفناه من صفوف المنشدين والذاكرين على شمال موقع الشيخ يوجد ما يطابقه تماما فى عدد الصفوف على يمين موقع الشيخ · وفى منتصف الصف الأول للمنشدين على يمين موقع الشيخ يوجد موقع رئيس فرقة المنشدين ، وبين صفى المنشدين على يمين موقع

الشيخ يوجد موقع خليفة خلفاء السجادة أى « خلفة الشيخ » ٠ وحول صفوف الحضرة يوجد عشرة نقبـاء للاشراف على نظـام الحضرة ويساعدهم فى مهمتهم سـتة عشر منظما يقف كل اثنين منهم عند طرفى كل صف من صفوف الذاكرين ٠ ومن وظائف النقباء فى الحضرة ، عدا اشرافهم على النظام ، توصيل اشارات الشيخ الى الذاكرين من قيام وقعود وسكوت وذكر ، وانتقـال من درجة سرعة الى درجة أخرى فى أثناء أداء الذكر والانشاد ٠ ويلاحظ انه فى الحالة الأخيرة نجـد أن الشيخ هو الذى يضبط ايقـاع الذكر والانشاد من أول الحضرة الى آخرها ووسيلته فى ذلك « التصفيق » ٠ والشيخ فى العادة هو أول من يبدأ بصوته افتتاح الحضرة (٢٦) ٠

وتعتبر الحضرة ، فى ضوء ما سبق ، « النظـام الجمـاعى للذكر » أو « حلقة الذكر » ، ومن ثم فهى أهـم التقـاليد الروحية ممارسـة فى الطريقة الصوفية ٠ والملاحظ انه على الرغـم من أن الذكر ، على المستوى النظرى ، كما سبق أن أوضحنا ، هو رأس الأعمال الصالحة ، وذلك لأن المقصود منه تزكية الأنفس وتطهير القلوب وايقاظ الضمائر ، والذاكرة حين ينفتـح لربه جنانه ويلهج بذكره لسانه يمده الله بنوره فيزداد ايمانه ايمانا ويقينه يقينـا فيسكن قلبه للحق ويطمئن به :

« الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب »

(الرعد : ٢٨)

على الرغم من ذلك فاننا نجد فى الواقع الحى فى المجتمـع المصرى المعاصر ، فى هذا المجال ، **أن ما يقال نظريا لا يمارس فى الكثير من أحيان عمليـا** ، وبخاصة فى محيط العديد من الطـرق

الصوفية • نجد أن الذاكرين منهم اذا ذكروا لا يذكرون « ذكر الله تعالى الوارد فضله فى الكتاب العزيز والسنة المقدسة ، المتلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطرق المتواترة والآحاد الصحيحة • فانه عليه الصلاة والسلام أفصح العرب وأبلغهم وأصحابه الآخذون عنه هم من الفصاحة والبلاغة بالمكان الأعلى واللسان الأغلى ، والقرآن العزيز والسنة المطهرة انما أخذا عنهم على الحـال الواصل الينـا بطريق التواتر أو الآحاد الصحيحة من المد أو القصر والتفخيم أو الترقيق والادغام أو الفك ونحو ذلك •• » (٢٧) •

فنرى هؤلاء الذاكرين اذ يذكرون الله ، يقولون مثلا « لا ايلها ئيلا الله » باشباع همزة « اله » فتولدت عنها « ياء » ومد « هائه » فصارت على صيغة المثنى واشباع همزة « الا » فتولدت عنها « ياء » واثبات ألفها مع شدة صوت غليظ • ومنهم من يقول « لا يلها الا الله » بتفخيـم أداة النفى مع اخراجها من أقصى الحلق والغلظ وابدال همزة « اله » « ياء » واشباع هائه فتولدت عنهـا ألف وقصر لفظ الجلالة جدا عن المد الطبيعى مع قوة صوت منكر و « خروشة » من الجوف كصوت (الناهق) من الحيوانات ، ويسمونه « تدويكا » ويزجمون أتباعهم اذا ذكروا بالاسـم خالصا كما جـاء به القرآن ونطق به النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأئمة المسلمين ، ويوبخونهم على ذلك ويقولون لهم : « أخرجوا الدوكة من جوفكم بقوة وغلظ صوت لأجـل أن تستنير قلوبكم ، وربمـا طردوا من لا يوافقهم على هذا الصنيع من مجلسهم ويقولون له : أتلفت علينا المجلس أو نحو ذلك من الأقوال القبيحة » (٢٨) •

● ●

وحلقة الذكر أصبحت فى الوقت الحاضر ظاهرة اجتماعية قد تعددت وظائفها • وأصبحت هذه الوظائف فى الواقع المصرى الحى

غيرها كما أمر الله جل ذكره وعلا شأنه ، والذى وصف أولى الألباب الذين ينتفعون بالنظر فى آياته بأنهم :

« الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم »
(آل عمران : ١٩١)

والذى أرشد سبحانه وتعالى الى الأدب الذى ينبغى أن يكون عليه المرء فى أثناء الذكر ، فقال :

« واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والأصال ، ولا تكن من الغافلين » .
(الأعراف : ٢٠٥)

أصبحت حلقة الذكر فى الوقت الحاضر تعقد فى الموالد وفى الأفراح وفى المواسم . نجد ذلك كما سبق أن أوضحنا فيما يسمى بـ « الحضرة » ، وفى حفلات « الزواج » ، وفى حفلات « الختان » ، وفى « شهر رمضان » . وقد تكون حلقة الذكر الأسلوب الوحيد للاحتفال ، وقد تكون أحد الأساليب للوفاء بالنذور .

واذا كانت لحلقة الذكر وظائف اجتماعية معينة فى المجتمع المصرى المعاصر ، **فانها هى نفسها احدى وظائف الطريقة الصوفية .** والملاحظ أن الانتماء الى احدى الطرق الصوفية يعنى اتاحة الفرصة العضو لكى يجد نموذجا فريدا من المنافذ الاجتماعية الذى ينفس أعضاء الطريقة عن طريقه عن الشعور بالعداوة الفردى أو الجماعى أو عن الشعور بالنقص أو الشعور بالذنب الفردى أو الجماعى اذا وجدت هذه الألوان من الشعور كلها أو بعضها . والانتماء الى احدى الطرق الصوفية أيضا ييسر للعضو لشعور بالحماية . فعمليات

التضامن بين الأعضاء ، وتماسكهم فى ظل مناخ ثقافى معين ، فضلا عن احساسهم **بنوع ما من الامتياز** ، تكون كل هذه الأمور الملجأ الثقافى الاجتماعى الأمين لكل عضو منهم · ومن ثم تصبح الطريقة احدى الجماعات « المرجعية » الهامة لأعضائها ، وتكون فى الوقت نفسه احدى الجماعات « الضاغطة » فى المجتمع ، لها قوتها ونفوذها فى محيط مئات الألوف ان لم يكن الملايين من البشر (فى ضوء عدد الطرق الصوفية المنتشرة فى ربوع المجتمع المصرى المعاصر الرسمية منها وغير الرسمية) ، وهى بهذه الصفة **قد تستغل ضد مصلحة هؤلاء الملايين من البشر** · والملاحظ كذلك أن الانتماء الى احدى الطرق الصوفية يتيح للعضو أنواعا شتى من المعرفة وخاصة ما تعلق منها بالسلوك الانسانى والنظرة نحو الحياة والنظرة نحو الموت على الرغم مما يشوب هذه المعرفة من سلبيات · والدليل على هذه السلبيات واضح فى قرار المجلس الأعلى للطرق الصوفية المنعقد فى شهر يونيو عام ١٩٨٠ ، والذى يتضمن عدم الموافقة على انشاء طرق جديدة الا بشروط ، وشروط قاسية جدا · **ذلك لأن فى مصر الآن ٦٩ طريقة صوفية · بعضها انحرف عن** طريقه ، بعد عن الدين وشعائره ، لدرجة أن احدى الطرق (الطريقة البرهانية) **غيرت من شريعة الله ، ورفعت تكاليف الصلاة عن بعض اتباعها ! (٢٩)** ·

- ٩ -

ويدعو الدين الاسلامى الخالص ، على المستوى النظرى ، الى الايمان الحق · ويرى أن هذا الايمان ينظم العقيدة السليمة ، والصور العديدة للعبادة الصادقة ، فضلا عن المعاملة بكل أنماطها · ويعنى مفهوم المعاملة فى بساطة « التعامل الاجتماعى » بين أعضاء المجتمع · ومجالات التعامل الاجتماعى فى ضوء طبيعته الاجتماعية

مجالات عديدة • فهو موجود حتما فى البيع والشراء ، وفى الأسرة ، وفى محاولات كسب العيش ، وفى ساحات القضاء ، وفى مواقع العمل بأنماطها ، وفى المعارك الحربية ، وفى معارك الانتخابات بنارها ونورها • والتعامل الاجتماعى بأنماطه العديدة يكون أيضا فى الأفراح وفى الأتراح ، وفى الهزيمة وفى الانتصار ، وفى النجاح وفى الفشل • ويكون كذلك فى الحب وفى العداوة **وفى عمل الخير وفى فعل الشر على السواء** • أى أن التعامل الاجتماعى بين أعضاء المجتمع يتضمن فى الواقع كل علاقات هؤلاء الأعضاء بعضهم مع بعض منذ أن يدخلوا فى هذه العلاقات حتى تنقطع ، لسبب أو لآخر ، هذه العلاقات •

وفى ضوء رسالة الدين الاسلامى الحنيف • نجد أن هذا الدين قد وضع لكل نوع من أنواع التعامل بين الناس حدودا مفصلة وقوانين محددة • والاسلام نظريا يعتبر نظاما كاملا شاملا لادارة الدنيا فى جميع شئونها ونواحيها • أى أن المعاملة فى الاسلام ، بالمعنى السابق ، يجب أن ترتكز على كل من العقيدة الاسلامية والعادة الاسلامية :

« ان الدين عند الله الاسلام »

(آل عمران : ١٩)

والملاحظ انه اذا كان الدين عند الله الاسلام ، فالدين المعاملة أيضا • وأنواع المعاملة (التعامل الاجتماعى) عديدة • وهى تهدف الى الألفة التى هى ثمرة حسن الخلق لأن التفرق ثمرة سوء الخلق • فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق ، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر • ومهما كان المثمر محمودا كانت

الثمرة محمودة · وحسن الخلق لا تخفى فى الدين فضيلته · وهو الذى مدح الله سبحانه به نبيه عليه الصلاة والسلام اذ قال :

« وانك لعلى خلق عظيم »
(القلم : ٤)

وأحاديث رسول الاسلام عن آداب الألفــة والأخوة والصحبة والمعاشرة عديدة · وكلها تدعو الى التحاب ونزع الغل من الصدور وتؤكد فضيلة الألفــة والأخوة فى الله تعــالى وشروطها ودرجاتها وفوائدها ، كما تبين حقوق الصحبة وآدابها وحقيقتها ولوازمها ، فضلا عن حقوق المسلم وحقوق الجوار وحقوق الأقــارب والرحــم وحقوق الوالدين والولد ·

والدعوة الى الخير نجدها في كتاب الله وفي سنة نبيه · واذا كان مفهوم « الخير » يبدو غامضا فانه يمكن القول ان الخير الذى ندب الله اليه ينتظم كل بر ويشمل كل عمل صالح :

« ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شيء قدير »
(البقرة : ١٤٨)

و « وافعلوا الخير لعلكم تفلحون »
(الحج : ٧٧)

و « وأوحينا اليهم فعل الخيرات واقام الصلاة وايتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين »
(الأنبياء : ٧٣)

وقد روى ابن ماجه عن سهل بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ان هذا الخير خزائن ، ولهذه الخزائن مفاتيح ، فطوبى لعبد جعله الله مفتاحا للخير ، مغلاقا للشر ، وويل لعبد جعله الله مفتاحا للشر مغلاقا للخير » (٣٠) ٠

● ●

وفى الواقع لاحى فى المجتمع المصرى المعاصر ، لاحظ الباحث فى دراسته عن « ظاهرة الكتابة على هياكل المركبات فى المجتمع المصرى المعاصر » ان الأغلبية الساحقة من كاتبى الكلمات والعبارات موضوع الدراسة (تيسر جمع ألف كلمة وعبارة من خمسمائة مركبة) كانت من سائقى لمركبات وان كان الملاك الطبيعيون للمركبات التى يقودونها ، فى العادة ، يوافقون على ما يكتبون ماداموا يدفعون أجر الكتابة كلما لزم الأمر من مالهم الخاص ٠ والسائقون أو من فى حكمهم اذ يكتبون على هياكل المركبات التى يستخدمونها بمحض ارادتهم ، فانهم فى حقيقة الأمر يحاولون أن يسمعوا أصواتهم دون أن يراهم احد ، أى أنهم فى حقيقة الأمر يحاولون **بمحض ارادتهم أن يهتفوا** ٠ وهم كاحدى فئات المجتمع فى ضوء الظروف الثقافية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى يعيشونها اذ يهتفون بمحض ارادتهم يحاولون أن يستخدموا احدى وسائل التعبير **عند الصامتين** من أعضاء المجتمع المصرى المعاصر ٠ فخلقوا دون ما ارادة **جهازا شعبيا من اجهزة الاعلام فى هذا المجتمع** يتحرك على امتداد مدنه وقراه ، وتجلجل أصواتهم فيه دون أن يراهم أحد ، ويعبرون عن طريقه عن انينهم وآمالهم وأفراحهم وأتراحهم واستسلامهم ، وعن بعض القيم التى يقدسونها **وبعض انماط تفكيرهم** ٠ وهم كفئة من الصامتين بعض أعضاء المجتمع المصرى المعاصر ، يعيشون فيه حياتهم بحلوها ومرها ٠ وهم اذ يكتبون ما يكتبون بمحض ارادتهم يعيشون أيضا فى ظل المناخ الثقافى

الاجتماعى لهذا المجتمـع ، أى أنهم يعكسـون العديد من العناصر الثقافية غير المـادية من هذا المنـاج ، وتتضـمن هـذه العناصر ، بالضرورة معتقداتهم فضـلا عن مشاعرهم وأحاسيسهم وآمالهـم وغيرها لكى يسمعوا أصواتهم دون أن يراهم أحد ، أى لكى يهتفوا **هتاف الصامتين** ٠

ولعل قارىء فصول الدراسة المشار اليها أن يلاحظ الأمثـلة العديدة على أنواع المعاملة التى تنفر منها تعاليم الدين الاسلامى الحنيف ٠ وتتضمن هذه الأمثلة بعض المعـانى والقيـم وأساليب التفكير وغيرها التى لا تتفق أيضا مع ما نبغيه لمجتمعنـا المصرى المعاصر التى يرنو اليها ٠ ومن هذه المعانى والقيم وأساليب التفكير نجد الشكوى من الظلم ومن الهجر ومن القسوة والفراق والسـهاد والوحدة ومن الضياع ومن الهموم والأحزان ٠ ونجد أيضا الاعتزاز بالأصل والحسد والعين الحاسدة ، والغضب ، والجبن ، والعجب والتفاخر ، والمغـالاة ، والدعوة الى الصبر السلبى ، والانتظار ، واللامبالاة ، والحيرة والاستسلام ، والتقرب الى الأولياء والقديسين والاعتماد عليهم ، والتملق ، والمذلة ٠٠

وبالاضافة الى ما سبق نلاحظ الحاجة الماسة الى العديد من أنواع المعاملة التى تدعو اليها تعاليم الدين الاسـلامى الحنيف ، **والتى يفتقدها** كاتبو الكلمات والعبارات موضوع الدراسة ٠ وهم اذ يفعلون ذلك تراهم يلحون فى الدعوة اليها على هياكل مركباتهم ٠ ومن الأمثلة على ذلك نجد الدعوة الى محبة الناس بعضهم بعضا ، والى الاهتمام بدعاء الوالدين ، والى احترام الكبير ، والى احترام العامل ، والى العطف على الصغير ، والى العمل المنتج والسعى من اجل الرزق ، والى التعاون ، والى الاعتصام ، والى محاسبة الضمير ، والى حسن الخلق ، والى الحق والعدل والايمان ، والى العلم ، والى

السلام .. وكلها كما يرى القارىء امثلــة يسعى المجتمع المصرى المعاصر الى تحقيقها حتى يتغير الى الأفضل (*) (٣١) .

● ●

وتعاليم الدين الاسلامى الحنيف وأنواع المعاملة الرشيدة التى تدعو اليها فى محيط الأسرة تؤكد كلها رفع شأن المرأة والاحتفاظ بكرامتها واقــرار حقوقها وانزالها المنزلة اللائقة بها كانســان له وظيفة كبرى فى الحيــاة . ويتجلى هذا التكريم للمرأة فيما قرره الدين لاسلامى الحنيف ، على المستوى النظرى ، من تشريعات . فقد قــرر الله سبحانه وتعالى **مساواة المرأة بالرجل فى الجنس** ، وأنها مغرس للنوع الانسانى ، وانها بمقتضى ذلك تستحق كل لكبار واحترام :

« والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة »

(النحل : ٧٢)

ويؤكد هذه المساواة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انما النساء شقائق الرجال » .

(رواه احمد وابو داود عن عائشة رضى الله عنها)

واذا كان الدين الاسلامى يدعو الى مساواة المرأة للرجل فى **الجنس فهو يدعو ايضا الى مساواتها للرجل فى تكاليف الايمــان والعمل الصالح** . قال الله تعالى :

(*) أنظر الملحق رقم (٤) .

« ان المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتـات ، والصادقين والصادقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشعات ، والمتصدقين والمتصدقات ، والصـائمين والصائمات ، والحافظين فروجهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيرا والذاكرات ، أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما »
(الأحزاب : ٣٥)

والدين الاسلامى ، كما هو معروف ، هو دين الثورة على وأد البنات • ومن تعاليمه مشروعية الزواج ، فالزواج فرض عين على كل مسلم قادر • وان جعل للزوجة على زوجها حقوقا • فمن حق المرأة أن تختار زوجها ، وأنها بزواجها لا تفقد اسمها ولا شخصيتها المدنية ولا أهليتها فى التعاقد ولا حقهـا فى الملكية ولا يضيع من اسـتقلالها المـالى شىء • ومن حقوق المرأة على زوجهـا العشرة بالمعروف والعدل وحقوقها الجنسية • ومن حق الزوجة على زوجها الانفاق عليها • وأخيرا وليس آخرا من حق الزوجة على زوجها أن يقدم لها مهرا ! ومن تعاليم هذا الدين أيضا أن جعل للزوج حقوقا على زوجته •ومن حقوق الزوج على زوجتـه الطاعة والقوامة على الأسرة ، وتكون هذه القوامة بالضرورة محدودة • ومن حقوق الزوج على زوجته تدبير البيت وصيانته والطـلاق عند الضرورة وتعدد

الزوجات بشرط • وأخيرا وليس آخرا من حق الزوج على الزوجة التهذيب عند العصيان !

« استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان عندكم لستم تملكون منهن شـيئا غير ذلك الا أن يأتين بفاحشـة مبينـة ، فان فعلن فاهجروهن فى المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح ، فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ، الا ان لكم على نسائكم حقا ولنسائكم عليكم حقا ، فحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن

فى بيوتكم لمن تكرهون ، الا وحقهن عليكم أن تحسنوا اليهن فى كسوتهن وطعمهن » .

(حديث نبوى ، أخرجه الترمذى)

وعن حكيم بن معاوية عن أبيه قال : قلت يا رسول الله ما حق زوجة أحدنا عليه ؟ قال : « أن تطعمها اذا طعمت وأن تكسوها اذا اكتسيت ، ولا تضرب الوجه ولا تقبح ولا تهجر الا فى البيت » .

(حديث نبوى ، أخرجه أبو داود)

وعلى الرغم من أن الاختلاف الكبير على تفسير هذه التعاليم الاسلامية ، فهى تعاليم تسندها قيم اجتماعية تأبى بالضرورة وجود ظاهرة مثل **ظاهرة « الحريم » أو ما يشبه « الحريم » مثلا** . ولكن هذه القيم نظرية ، والتعاليم التى تسندها القيم الاجتماعية النظرية شىء وممارسة هذه التعاليم فى الواقع الاجتماعى الحى شىء آخر (٣٢) .

ويؤكد ذلك ما يلاحظه القارىء لما يكتبه الكثير من الأدباء المصريين المعاصرين عن المرأة المصرية ، أو ما يلاحظه المستمع لما يذيعه بعض المذيعين أو الاذاعيين المصريين عن المرأة المصرية . ان المرأة المصرية فى آراء أولئك وهؤلاء ، كما يقول « فرويد » لغز محير . وهى شخص لا يمكن أن يفهم ، بل يجب أن لا يفهم . وهى شخص يحاول هؤلاء المصريون الذكور أن يخلعوا عليه صفات الذكاء أحيانا والبلاهة أحيانا أخرى ، وصفات العاطفة النارية أحيانا والعاطفة الباردة أحيانا أخرى ، وصفات الكذب والبهتان أحيانا والمراوغة وعدم الصراحة أحيانا أخرى . وقد يرى بعضهم أن المرأة المصرية هى شخص « مستهلك » على عكس الرجل المصرى فهو شخص

« منتج » . ويفسر هذا البعض هذا القول بأن الرجل يعمل ويكسب ويعطى المرأة (الزوجة) بعض ما يكسب أو كل ما يكسب لتنفق (أى لتستهلك) . ويعمى هذا البعض فلا يرى أن الكثير من هذا الانفاق استثمار . فالمرأة المصرية فضلا عن أنها تلد أبناء المجتمع فهى تسهم فى تربيتهم ، وان أنفقت لتصنع طعاما مثلا فهى تحفظ حياة أعضاء الأسرة كلهم ، أى حياة زوجها وحياتها وحياة الأبناء . والولادة والاسهام فى تربية الأبناء وحفظ حياتهم وحيـاة زوجهـا وحياتها ، كما يعلم القارىء ، كلهـا انتاج ، بل أعظـم انتاج . ولا يقتصر الأمر على هؤلاء ، ولكننا نجد بعض الفنانين المصريين الآخرين فى أعمالهم التشكيلية أو المرئيـة أو المسموعة لا يجدون صفات أخـرى تنصف المرأة المصرية . فالكـل أى هؤلاء الكتاب والمذيعين والاذاعيين والفنانين المصريين ينعتـون المـرأة المصرية بصفات يأبونها على أنفسهم ، صفات مطلقة ، أى غير واقعية .

وحتى الرجال العاديين نجد الكثير منهم ينحون نفس المنحنى . فالمرأة عندهم شيطان رجيم ، ولعن الله النساء ولو نزلن من السماء ، وان كيدهن عظيم ، ولا أمان للنساء ، واذا عرف الرجال ما تفعله النساء وهن فى خلوتهن ما تروجوا قط ! واذا مرضت الزوجة يبلغ زوجها عن ذلك بقوله : « الفخدة عيانة » ، واذا احتاج المرض الى اجراء عملية جراحية مثلا فقد يرى الزوج أن يتزوج من أخرى فهذا أوفر وأرخص ! وقد يعلن أحدهم عن الزواج فيقول مداعبا أو ساخرا : « أنا رايح البلد أجوز لى جاموسة » . كل هذه حقائق عن المرأة المصرية المعاصرة يعرفها كل من يحاول أن يطالع فى « موسوعة » المجتمع المصرى المعاصر فى الأماكن التى يعيش فيها أعضاء المجتمع مثل القرية ومثل الحارة وبعض المنظمـات الدينية والمحاكم وفى الأسواق ، أو فى محيط النئات التى تضم الأعضاء الذكور من أعضاء المجتمع ، وحتى بعض الأعضاء الاناث .

وفى ضوء دراسة لـ ٣٥ أسرة اختيرت عشوائيا من الأسر التى أحيلت الى احدى جمعيات تدعيم الأسرة فى خلال الفترة من شهر يناير من عام ١٩٧٣ حتىشهر ابريل من عام ١٩٧٤ ، اتضح أن أكثر من يشكو هن النساء (٣١ حالة ، منهن ١٨ زوجة والباقى أرملة وابنة وأم زوجة) • أما الحالات الأربع الأخرى فالشكاوى فيها تأتى من الذكور (من ثلاثة أزواج ومن ابن) • والملاحظ أن **شكاوى الزوجات** أنواع ، منها مماطلة الزوج فى التوقيع على قائمة « **العفش** » (أى الأثاث الذى دخلت به الزوجة بيت الزوجية) ، ومنها أن الزوج لم يدفع المهر أو انه بخيل أو انه دائم المشاجرة مع الزوجة ، أو لأنه هجرها دون رعاية • ومنهـا محاولة استغلال الزوجة حتى يشبع هواية لعب القمـار ، أو محاولة سرقتة أثاث المنزل ، أو تحريض الزوجة على الفساد • ومنها الطلاق بدون سبب ظاهر على الرغم من وجود أطفال ، أو الطلاق والزوجة حامل دون أن تعلم على الرغم من استمرار المعاشرة الزوجية ! ومنها خيانة الزوج وتأكد الزوجة من ذلك ، ومنها اسـاءة معاملة الزوجة أو محاولة اجهاضها أكثر من مرة ، ومنها تسلط أم الزوج أو شقيقته (بموافقة الزوج) على الحياة فى الأسرة •

والسيدة الأرملة تشكو من أخت زوجهـا المتوفى التى تماطل فى دفع ايجار الحجرة التى هى نصيبها ونصيب أولادها من الميراث عن زوجها بعد وفاته منذ ١٣ عاما ، على الرغم من أنها ترعى ثلاثة أولاد قصر • أى أننا فى هذهالحالة نجد امرأة تشكو امرأة أخرى • **أما الابنة الشاكية** فقد كانت تشكو أباها الذى تركها وهى صغيرة فى حضانة جدتها لوالدتها تحت رعاية خالها الذى اسـتمر ينفق عليها حتى كون له أخيرا أسرة تناسلية ، فأصبحت مسئولياته أكبر مما ينبغى مما أدى به الى طلب المساعدة فى الحصول على نفقة من أبيها القادر على ذلك • ومن الغريب أن نرى أن **أم الزوجة**

الشاكية تؤكد أن زوج ابنتها الذى لم يدخل عليها قد عدل عن هذا الزواج ويريد الزواج منها هى أى من الأم !

والملاحظ أن هؤلاء النساء لا يزيد عمر أكبرهن على ٤٣ عاما ولا يقل عمر أصغرهن عن ٢٣ عاما ، وأن معظمهن أميات وان وجدت بينهن واحدة تحمل شهادة متوسطة (الاعدادية) ، وأخرى تحمل الشهادة الابتدائية · وتبين أن ست عشرة سيدة منهن لا يعملن · أما اللاتى يعملن فنجد من بينهن بائعة السجاير أو بائعة الحلوى أو الشغالة ، واثنتين تعملان على الآلة الكاتبة ·

وشكاوى الرجال قد قدمها **ثلاثة أزواج · منهم اثنان** يساورهما الشك فى سلوك زوجتيهما وذلك لأنهما تعملان فى الشقق المفروشة لضيق ذات يد الزوج وكثرة العيال · **أما الزوج الثالث** فهو يشكو هجران زوجته التى استمعت لحض أبيها على ذلك · أى أننا فى هذه الحالة نجد رجلا يشكو رجلا آخر ، الأول هو الزوج والثانى هو الأب · **والحالة الرابعة** نجد فيها ذكرا يشكوا ذكرا آخر ، أى نجد ابنا يشكو والده الذى يسىء معاملته كما يسىء معاملة والدته (ضربها فى ذات مرة على عينها ففقدتها) ويسىء كذلك معاملة أخته التى تكبره · ويذكر الابن أن أباه يشرب الخمر ويتعاطى المخدرات · وفى احدى المرات وهو فى غير وعيه حاول الاعتداء على الابنة !!

والأدلة على أن المرأة المصرية المسلمة ما زالت ، على الرغم من موقف الدين الاسلامى منها ، على المستوى النظرى هى الشخص المستضعف فى المجتمع المصرى المعاصر ، عديدة ومصادرها أيضا أيضا عديدة · ويكفى كما ذكرنا من قبل أن يزور الشخص منا جمعيات تدعيم الأسرة ، أو يزور محاكم الأحوال الشخصية ، أو

يرجع الى الشكاوى التى تجأر بها النساء وهن يؤدين واجب العزاء ، أو وهن يزرن مقابر الأولياء والقديسين (من الملاحظ أن الكثير من النســاء المصريات المسلمات يزرن مقابر القديسين المسيحيين فى مصر) ، أو حتى وهن يزرن مقابر الأعزاء من الموتى الأقارب المقربين (مثل الأب والأم والأخ والاخت والابن والابنة والزوج) ، أو مقابر الموتى الأقارب من غير المقربين أو غير هؤلاء من الموتى .

ومع ذلك فاننا نلاحظ **أن مكانة المرأة « كأم » مكانة رفيعة** . يقدرها على وجه العموم أعضاء المجتمع المصرى المعاصر على اختلاف فئاتهم وطبقاتهم وثقافاتهم ومستوياتهم المــادية حق قدرها . فالأم عند الجميع « تعشش » والأب « يطفش » ! وعند الجميع نجد المثل السائد « اللى بلا أم حالة يغم » . والأم هى أولا وقبل كل شىء كما تقول الأغنية المصرية « ست الحبايب » (٣٣) .

● ●

وتعاليم الاسلام تؤكد على المستوى النظرى أن الأبناء أمانة وضعها الله بين يدى الآباء ، وهم مسئولون عنها ، فان أحسنوا اليهـم بحســن التربية كانت لهم المثوبة ، وان أســاءوا تربيتهم استوجبوا العقوبة :

« كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته : الامام راع ومسئول عن رعيته . والرجل راع فى أهله ومسئول عن رعيته . والمرأة راعية فى بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها . والخادم راع فى مال سيده ومسئول عن رعيته . وكلكم راع ومسئول عن رعيته »

(حديث نبوى رواه البخارى)

وكما تضمنت أحاديث نبى الاســلام حقــوق الوالدين فى بر أبنائهما بهمــا ، فانهــا طلبت اعانة الوالد ولده على بره ، وأكدت

المساواة بين الأولاد فى العطية • وأبانت هذه الأحاديث حقوق الطفل منذ ولادته حيث يعق عنه يوم السابع ويسمى ويماط عنه الأذى ، فاذا بلغ ست سنين أدب ، واذا بلغ تسع سنين عزل فراشه ، فاذا بلغ ثلاث عشرة سنة ضرب على الصلاة • وذكرت هذه الأحاديث أن من حق الولد على الوالد أن يحسن أدبه ويحسن اسمه • ونصحت بالرفق بالولد والبر به وتعليمه • وقد أكد أكثر العلماء المسلمين على أن طاعة الأبوين واجبة فى الشبهات وان لم تجب فى الحرام المحض • وقد وضع الشارع الاسلامى الأحكام التنظيمية لحياة الأطفال وجعل مصلحة الصغير فى المقدمة • وجعل العناية بالأولاد تعدل فى الطاعات الجهاد فى سبيل الله • ومن عناية الشارع الاسلامى بالطفولة أن رد لها حقوقا كثيرة • منها حق الطفل فى اكتساب جنسية الأب بقاء على حق الدم ، وتبعته فى طفولته لخير الأبوين دينا ، وثبوت نسبه وحقه فى الارضاع والحضانة والرعاية والانفاق عليه • ونلاحظ أن الشارع الاسلامى أثبت على الأولاد ولايات ثلاث منذ ولادتهم :

- ولاية التربية والرعاية •
- الولاية على أنفسهم •
- الولاية على أموالهم •

وقد عالج فقهاء الاسلام كل هذه النواحى واتجهوا فى ذلك اتجاهات مختلفة تبعا لاختلاف مناهجهم الاجتهادية وتأثرهم بالبيئات المختلفة التى عاشوا فيها وتأثروا بها •

وأهداف تعاليم الدين الاسلامى السابقة واضحة كل الوضوح • فهى على المستوى النظرى تهتم بتعليم الأبناء (بنين وبنات)

وتربيتهم ، وتنشئتهم على الأخلاق الفاضلة ، وارشادهم الى ما فيه نفعهم وفلاحهم :

« يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا »
(التحريم : ٦) (٣٤)

ومع ذلك فاننا نجد فى ضوء بعض الظروف الثقافية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى يحياها المجتمع المصرى المعاصر الكثير الذى لا يدل على الاهتمام اللائق والضرورى بالأطفال فى هذا المجتمع • نلاحظ مثلا أن عدد الأحداث المتهمين فى جنح فى خلال عام ١٩٧٨ قد بلغ ٢٥٥٨٦ حدثا (٢٣٣٧٦ من الذكور و ٢٢١٠ من الاناث) • وقد ارتكب هؤلاء فى نفس العام ٢٦٤٩٩ جنحة منها ٢٤٠٢٣ جنح جرائم و ٢٤٧٦ جنح تشرد • (مفهوم الحدث فى ضوء القانون هو الصغير الذى بلغ سن السابعة ولا يزيد سنه على ثمانية عشر عاما) (٣٥) •

وفى احدى الدراسات التى أشرف الباحث عليها تبين أن من الأحداث المتهمين بالتشرد بأنماطه المتعددة ٣١٧٦ حدثا (أى نحو ٧٩ر٧٩٪ من مجموع الأحداث موضوع الدراسة) ليس لديهم مكان يلجأون اليه الا شوارع المدينة وحاراتها وأزقتها • أى أنهم لا يعيشون فى كنف أسر • كما تبين أن ٥٤٧ أسرة من الأسر التى تعيش في مدينة القاهرة لم يستطع أولياء أمورها القيام بعملية التنشئة الاجتماعية السليمة لأبنائهم وبناتهم ، فقاموا برفع دعاوى المروق عليهم • أى أن عدد الأحداث الذين **لا يتمتعون بالحياة فى أسرة أو بالحياة السليمة فى أسرة** يبلغ ٣٧٢٣ حدثا من مجموع الأحداث موضوع الدراسة وقدره ٤٥٢٧ حدثا • أى أن نحو أكثر من أربعة أحداث فى كل ألف من الأشخاص الذين فى سن الأحداث فى مدينة القاهرة يعيشون بلا أسر أو فى أسر معيبة •

والملاحظ أيضا أن عدد الأطفال المصريين الذين تقل أعمارهم عن ١٥ عاما هو ١٦ مليونا من حوالى ٤٠ مليونا من مجموع السكان · ويلاحظ أن وفيات الأطفال الرضع فى عام ١٩٧٢ تبلغ نحو ١١٦٫٣ فى الألف ، وان الأسباب الرئيسية للوفاة هى الامراض المتعلقة بالجهاز الهضمى والأمراض المعدية والطفيلية · ونجد فى الفترة العمرية للاطفال من سن ٠ ــ ٦ أن مرض الاسهال مسئول عن وفاة نحو ٤٦٪ من الحالات · أما الأمراض المعدية والطفيلية فهى مسئولة عن وفاة نحو ٢٩٪ من الأطفال بعامة ونحو ٤٢٪ من جماعة الأطفال الذين فى مرحلة ما قبل الدراسة · ونجد أيضا أن نحو ١٢٪ من مجموع الأطفال الذكور الذين تقل أعمارهم عن ١٥ عاما يعملون · وأن نسبة من يعمل منهم فى الريف أربعة أضعاف من يعملون فى الحضر ·

والملاحظ كذلك أنه على الرغم من أن السياسة العامة للتعليم قد خطت خطوات لا بأس بها نحو تحقيق الأهداف الجوهرية منها ، فانه فى خلال الخمس عشرة سنة التى تنتهى فى يونيو عام ١٩٧٣ نجد أن نسبة الأطفال الذين التحقوا بمرحلة التعليم الابتدائية الى المجموع الكلى للاطفال من سن ٦ ــ ١٢ قد وصلت الى نحو ٧٠٪ فقط · منها نحو ٦٠٪ من الذكور نحو ٤٠٪ فقط من الاناث · أى أن ملايين الأطفال فى هذه المرحلة العمرية لم يجدوا مكانا لهم فى مدرسة · (الأطفال الذين تقل أعمارهم عن ١٢ عاما يمثلون نحو ٣٦٪ من المجموع الكلى للسكان) (٣٦) ·

ومما يؤكد الاختلاف الواضح بين النظرة نحو الطفل المصرى والاهتمام به فى ضوء تعاليم الديانة الاسلامية على المستوى النظرى وبين هذه النظرة على المستوى التطبيقى فى محيط العديد من أطفال المجتمع المصرى فى الوقت الراهن ، ما نجده فى مجال بعض الأمثال

الشعبية المصرية السـائدة فى هذا المجتمـع . فقد يقـال مثلا ان « الضنا غالى » (يقصد بالضنا الذى يضن به لأنه غالى ونفيس ويعنى به هنا الطفل) ، ويقال أيضا « ان جالك الهم طوفان حط ولدك تحت رجليك » !

● ●

الخاتمـــة

وفى ضوء كل ما سبق يلاحظ القارىء أن الدراسة الحالية تعنى بنوع من أنواع الازدواجية بالمعنى الذى تتبنته هذه الدراسة ، ألا وهى « الازدواجية فى التراث الدينى المصرى » ، ومما لا شك فيه أن وجود هذه الازدواجية يرجع الى عوامل يمكن فى ضوء العلم التعرف عليها ومواجهتها وتوجيهها • وقد ترجع هذه العوامل الى آثار التغيير الثقافى الاجتماعى السريع الذى يواجهه مجتمعنا المصرى المعاصر وعدم مواجهة هذه الآثار مواجهة جذرية شاملة • أو قد يرجع ذلك الى عدم وضوح الرؤية فى بعض الأمور مثل الاتفاق على سمات المواطن الصالح مثلا ، واختلاف الرأى على هــذه السمات اختلافا جذريا فى بعض الأحيان • أو قد ترجع هذه العوامل الى أن النظام التعليمى التربوى فى محيط أجهـزة التنشئة الاجتمـاعية المصرية كالأسرة والمدرسة والمنظمة الدينية والمنظمــة السياسية ومنظمـات شغل أوقات الفراغ وأجهزة الاعلام والثقافة فى واد ، والأيديولوجية التى تهتدى أو يجب أن تهتدى بها هذه الأجهزة وتبلور أهدافها فى ظلها تعيش فى الضباب ، أى فى واد آخر • ان الباحث لا يستطيع الجزم بهذه الآراء أو ببعضها أو بأى منها • انه لا ينفيها ولكنه

يرغب فى تأكيدها أو تأكيد بعضها على هـدى البحـوث الثقافية الاجتماعية التى ينادى مخلصا باجرائها حتى يعمل المسئولون فى ضوء ما تسفر عنه نتائج هذه البحوث من أجل التغيير الى الأفضل .

ويرى الباحث ، بل يؤكد ذلك ، أن المجتمع المصرى المعاصر لا يمكن أن يكون فى هذا الشأن فريدا . فكل المجتمعات ، المتخلفة منها أو ما نطلق عليها مجتمعات العالم الثالث ، ومجتمعات بلاد الوفرة التى سبقت فى طريق الدنية أو فى طريق التصنيع . نجد فيها ألوانا من الازدواجية الثقافية ، ومنها بالضرورة الازدواجية فى التراث الدينى . أى اننا نجد أن ما هو نظرى فى مجالات ثقافتها شيء وأن ما يمارس فى هذه المجالات شيء آخر . أى أن التناقض بين ما يقـال وبين ما يعمل فى هذه المجتمعـات قائم . ولا يعنى وجود الازدواجية الثقافية أو وجود الازدواجية فى التراث الدينى فى هذه المجتمعـات أن عوامل وجودها ، ومواقعها ، وصـورها أو الأثواب التى تلبسها ، فضلا عن آثارها المعوقة ، متماثلة أو حتى متشابهة . لأن كل مجتمـع له تاريخه وماضيه وظروفه الثقافية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . أى أن المجتمعات متباينة ، ومن ثم فان ظاهرة الازدواجية فى كل مجتمـع على حـدة مسألة لا جدال فيها ، بل هى ضرورية لكى ندرى خبراتنا المنتظمة التى تيسر فهمهـا لكى نواجههـا . والقـارىء يوافق الباحث على أن الازدواجية فى التراث الدينى فى مجتمع كالمجتمع الانجليزى مثلا هى بالضرورة غير الازدواجية فى التراث الدينى فى المجتمع المصرى أو فى المجتمع الامريكى أو فى المجتمع الايطالى . أن الظاهرة موجودة فى هذه المجتمعات كلها وفى غيرها من المجتمعات ما فى ذلك من شك ، ولكن هذه الحقيقة وحدها لا يراها الباحث كافية . فالمجتمع المصرى مثلا فى ضوء سمات ثقافته التى ذكرتها الدراسة الحالية ، ومنها قدمها واستمرارها وتعدد مصادرها ، غير المجتمعات المشار

اليها ٠ ويكفى أن يعلـم القارىء من الدراسـة أن الأسرات الست والعشرين فى تاريخ مصر القديمة (من ٣٤٠٠ ـ ٥٢٥ ق٠م أى ٢٨٧٥ عاما) قد اسـتمرت اذا قارناها بتـاريخ أمريكـا (٢٠٥ أعوام) (*) ١٤ وحدة ٠ وحتى اذا تعددت مصادر ثقافة كل مجتمع من هذه المجتمعات مثلها مثل مصادر ثقافة المجتمع المصرى ، فالملاحظ أن هذه المصادر لا يمكن أن تتماثل أو حتى تتشابه ٠ وحتى هذه المجتمعات نفسها نجد منها القديم نسبيا ومنها الأقدم نسبيا ومنها الحديث نسبيا ومنها الأحدث نسبيا ، واذا تشابهت مصادر ثقافاتها فى بعض الأمور فهى تتباين فى أمور أخرى ٠

واذ يختتم الباحث حديثه يترك الدراسة الحالية بين يدى القارىء راجيا أن تكون ذات فائدة له فلا يندم على اضاعة وقتـه الثمين فى قراءتها واستيعاب مضمونها وتمثله ٠ ان كل ما يرجوه الباحث هو أن يمد يده للقارىء لكى يمد القارىء يده للباحث ، فالمثل الشعبى المصرى يقول : « ايد على ايد تساعد » ٠ كل ذلك من أجل عزة مصرنا الخالدة ومن أجل منعتها ٠

(*) اعتبرت الدراسة الحالية أن تاريخ أمريكا الذى يمتد من أيام الثورة الامريكية عام ١٧٧٥ الى عام ١٩٨٠ يمثل وحدة واحدة ٠

مراجع الدراسة :

١ ـ سيد عويس : حديث عن الثقافة : بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٠ ، صفحات ٢٣ ـ ٢٦ ٠

٢ ـ جورج سارتون : تاريخ العلم ، الجزء الأول ، ترجمة تحت اشراف ابراهيم بيومى مدكور وآخرين ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٦ ، صفحات ١٢٨ ـ ١٣٠ ٠

انظر أيضا :

حديث عن الثقافة : بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة ، صفحتا ٥٤ ـ ٥٥ ٠

انظر أيضا :

سيد عويس : مطالعات فى موسوعة المجتمع المصرى ، دراسة ثقافية اجتماعية ، (تحت الطبع) ٠

٣ – مطالعات فى موسوعة المجتمع المصرى : دراسة ثقافية اجتماعية تاريخية ٠

٤ – سيد عويس : الخلود فى التراث الثقافى المصرى ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦ ، صفحة ١٥٣ ٠

٥ – سيد عويس : رسائل الى الامام الشافعى ، ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار الشايع للنشر ، ١٩٧٨ ، صفحات ١٥٢ – ١٥٧ ٠

٦ – سليمان جميل : الانشاد فى الحضرة الصوفية وفقا لطريقة الحامدية الشاذلية ، تقديم سيد عويس ، القاهرة ، مطبعة الكلانى ، ١٩٧٠ ، صفحتا ٤٥ – ٤٦ ٠

٧ – سيد عويس : حديث عن المرأة المصرية المعاصرة ، القاهرة ، مطبعة أطلس ، ١٩٧٧ ، صفحة ٢٣٥ ٠

٨ – سيد عويس : أهم السمات الثقافية الموضوعية للشخصية المصرية ، الجامعة التونسية ، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية والاجتماعية ، فصلة من كراس سلسلة الدراسات الاجتماعية رقم ٤ ، ملتقى تونس عن الذاتية العربية بين الوحدة والتنوع ، تونس ، ابريل عام ١٩٧٨ ، صفحتا ٣٠٥ – ٣٠٦ ٠

٩ – حديث عن الثقافة : بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة ، صفحات ٧٨ – ٧٩ ، ٩١ – ٩٣ ٠

١٠– حديث عن المرأة المصرية المعاصرة : صفحة ٢٩٥ ٠

١١– أهم السمات الثقافية الموضوعية للشخصية المصرية : صفحتا ٣٠٨ – ٣٠٩ ٠

١٢ـ حديث عن الثقافة : بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة ، صفحة ٢١٥ ٠

١٣ـ أنيس منصور : مواقف ، القاهرة ، جريدة الأخبار ، ٨ أبريل عام ١٩٧٤ ٠

١٤ـ حديث عن المرأة المصرية المعاصرة : صفحة ٢٨٦ ٠

١٥ـ سيد عويس : من ملامح المجتمع المصرى المعاصر : ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى ، القاهرة ، دار مطابع الشعب ، ١٩٦٥ ٠

١٦ـ المرجع السابق : صفحات ١٢٨ ـ ١٣٠ ٠

١٧ـ نفس المرجع : صفحتا ١٤٢ ـ ٢٤٣ ٠

١٨ـ نفس المرجع : صفحات ٣٤٢ ـ ٣٤٣ و ٣٤٦ ـ ٣٥٢ ٠

١٩ـ الامام الحافظ ذكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى المنذرى : الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ، الجزء الرابع ، القاهرة ، مكتبة الجمهورية العربية ، صفحات ٥١ ـ ٥٦ ٠

٢٠ـ حديث عن الثقافة : بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة ، صفحات ٢٤٣ ـ ٢٤٨ ٠

٢١ـ المرجع السابق : صفحات ٢٢٠ ـ ٢٢٢ ٠

أنظر أيضا :

سيد عويس : هتاف الصامتين : ظاهرة الكتابة على هياكل المركبات فى المجتمع المصرى المعاصر ، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، ١٩٧١ ٠

٢٢- حديث عن الثقافة : بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة ، صفحات ٢٢٠ - ٢٢٣ ٠

٢٣- مطالعات فى موسوعة المجتمع المصرى : دراسة ثقافية اجتماعية ٠

٢٤- السيد سابق : فقه السنة ، الجزء الرابع ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة الآداب ، صفحات ١٩٦ - ١٩٨ ٠

أنظر أيضا :

حديث عن الثقافة : بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة ، صفحات ١٤٨ - ١٥١ ٠

٢٥- محمود محمد خطاب السبكى : العهد الوثيق لمن أراد سلوك أحسن طريق ، القاهرة ، مطبعة الفتوح الأدبية بمصر ، صفحتا ٢ - ٣ ٠

أنظر أيضا :

حديث عن الثقافة : بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة ، صفحات ٢٠٨ - ٢١٠ ٠

٢٦ - الانشاد فى الحضرة الصوفية وفقا للطريقة الحامدية الشاذلية ، صفحتا ٣٣ - ٣٤ ٠

٢٧- حديث عن الثقافة : بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة ، صفحتا ١٤٩ و ١٥١ ٠

٢٨- المرجع السابق : صفحتا ٢٠٦ - ٢٠٧ ٠

٢٩- المرجع السابق : صفحة ٢٠٨ ٠
أنظر أيضا :

سيد عويس : الابداع الثقافى على الطريقة المصرية : دراسة عن بعض القديسين والأولياء فى مصر ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، صفحتا ١٠٦ ـ ١٠٧ ٠

انظر ايضا :

جريدة الجمهورية : الطرق الجديدة ممنوعة لأنها غيرت شعائر الدين ، القاهرة ٢٦/٦/١٩٨٠ ٠

٣٠ـ السيد سابق : اسلامنا ، القاهرة ، دار الكتاب العربى بمصر ، ١٩٦١ ، صفحات ١٢٥ ـ ١٢٨ ٠

انظر ايضا :

الامام الغزالى : احياء علوم الدين ، الجزء الثانى ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابى الحلبى وشركاه ، صفحات ١٥٤ ـ ٢١٩ ٠

٣١ ـ هتاف الصامتين : ظاهرة الكتابة على هياكل المركبات فى المجتمع المصرى المعاصر ، صفحات ١٩٤ ـ ١٩٧ ٠

٣٢ ـ اسلامنا ، صفحتا : ١٩٥ ـ ١٩٦ ٠

انظر ايضا :

صديق حسن خان : حسن الاسوة بما ثبت من الله ورسوله فى للنسوة ، القاهرة ، مطبعة الامام ، صفحة ١٦٢ ٠

انظر ايضا :

حديث عن المرأة المصرية المعاصرة ، صفحتا ٥٤ ـ ٥٥ ٠

٣٣ـ حديث عن المرأة المصرية المعاصرة ، صفحات ٣٥ ـ ٣٨ ٠

٣٤ـ اسلامنا : صفحات ٢١٨ ـ ٢٢٢ ٠

انظر ايضا :

سيد عويس : النظرة الثقافية الاجتماعية نحو الطفل المصرى ، المجلة الاجتماعية القومية ، القاهرة ، العدد : ١ ـ ٣ ، المجلد السادس عشر ، عام ١٩٧٩ ، صفحتا ١٣ ـ ١٤ ٠

٣٥ـ وزارة الداخلية ، مصلحة الأمن العام : تقرير الأمن العام ، ١٩٧٨ ، القاهرة ، صفحات ١٨٠ ـ ١٨٣ ٠

٣٦ـ

— SAIED EWIES, «Troubled Children in Egypt» in **Justice and Troubled Children Around the world, vol.1,** V. Lorne Stewart, ed. (New York : New York University Press, 1980) pp. 37-47

— See Also :
Central Agency for public Mobilization and statistics, **population and Development** (Cairo : 1973), PP. 179-181, 206.

الملاحق :

الملحق رقم (١)

نصوص من الرسائل المرسلة الى ضريح الامام الشافعى

(النص الأول)

(التوسل بالامام الشافعى الى الله جل وعلا)

فى ضوء ما كتبه رجل من دمنهور ، بحيرة ، ذكر اسمه ، وكتب رسالة على ورقة عادية ، بتاريخ ٢٠ فبراير سنة ١٩٥٨ ، الموافق أول شعبان سنة ١٣٧٧ هـ ، قال بعد ذكر البسملة وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، موجها خطابه الى الامام الشافعى :

« بلاغ مقدمه فلان فى فلان الى السيد الشيخ الامام الشافعى بأننى فقير وأبويه (أبى) عاجز ومحتجين (محتاجين) لى أكل العيش واحترض علينا (وقف فى سبيلنا) فلان (نفس اسم المشكو فى حقه السابق (وعاجز عن أخد التار وانى قدمتك (قدمت لك)

هذا البلاغ يا سيدى تأخذ تارى وتخلصلى بى وسطتك (بوساطتك) الى الله سبحانه وتعالى والى (والا) ترجعنى الى شغلى الذى هو منه أكل عيشى ... » .

(النص الثانى)

(التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم الى الامام الشافعى)

وفى ضوء ما كتبته سـيدة من محافظة بنى سويف ، ذكـرت اسمها ، وقد كتبته بالحروف المفردة ، فى مضمون الرسالة ، وكتبت رسالتها على ورقة عادية ، بتاريخ ١٠ أبريل سنة ١٩٥٧ ، الموافق ١٠ رمضان سنة ١٩٧٦ هـ ، قالت بعد ذكر البسملة وصلى الله على سيدنا محمد ، موجهة خطابها الى الامام الشافعى :

« ترفع هذا لسيادتكم فلانة بنت فلانة ..

الله يعلـم ان فلانة بنت فلانة تهين بنتى وهى زوجة أبيهـا فاتوسل اليك بالنبى أن تتوسل الى الله فى منعها من اهانتها واهانة أخيها فلان و و و ... » .

(النص الثالث)

(التوسل بالأولياء الى الامام الشافعى)

ونجد سيدة أخرى من محافظة الفيوم ، ذكرت اسمها ، وكتبت رسـالتها على ورقة عادية ، بتاريخ ١٦ مايو سنة ١٩٥٦ ، الموافق ٦ شوال سنة ١٣٧٥ هـ ، قالت بعد ذكر البسملة والحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، موجهة خطابها الى الامام الشافعى :

« الى حضرة الأستاذ الفاضل والهمام الكامل الامام الشافعى رضى الله وتعالى عنه أنت يا سيدى على من تعدى على وظلمنى وانت عارف والعارف لا يعرف ونا سايق عليه (سايقة) (تقصد وسطت) السيدة زينب وآل البيت جميعا وأنا محسوبة والمحسوب منسوب وانت يا رب على الظالمين والله على الظالمين ومن تعدى وظلم والامام الشافعى هو الواسطة وأنا مظلومة وانت ... » .

(النص الرابع)

التوسل بالله عز وجل وبالنبى صلى الله عليه وسلم

الى الامام الشافعى

وفى ضوء ما كتبه رجل من المحلة الكبرى ، محافظة الغربية ، ذكر اسمه ، وكتب رسالة على ورقة متموغة ، بتاريخ ٢٦ مايو سنة ١٩٥٦ الموافق ١٦ شوال سنة ١٣٧٥ هـ . قال بعد ذكر البسملة ، وحسبى الله وانت الوكيل (ثلاث مرات) ، موجها خطابه الى الامام الشافعى :

« اللهم انى بقدرة المنتقم الجبار المطلع على كل شىء خالق خلقه جعل القوى والضعيف فجعل الضعيف يتوجه بوجه الله وأوليائه الصالحين ..

انى وكلتك يا سيدى يا امام الشافعى **وسئت (وسطت) عليك الاله عز وجل والحبيب محمد ابن عبد الله خير الأنبياء والمرسلين ..** كما سئت عليك أبيك وأمك انى وكلتك توكيلا شرعيا : على اسم فلانة بنت فلانة بالمحلة الكبرى وأمها فلانة بنت حواء وآدم بما قاموا على به فى يوم الجمعة ... » .

(النص الخامس)

(التوسل بالله الى الامام الشافعى)

ونجد سيدة من مركز إهناسيا المدينة ، محافظة بنى سويف ، ذكرت اسمها ، وكتبت رسالتها على ورقة عادية ، بتاريخ ٢١ ابريل سنة ١٩٥٦ ، الموافق ١٠ رمضان سنة ١٣٧٥ هـ ، قالت دون ذكر البسملة ، موجهة خطابها الى الامام الشافعى :

« رضى الله عنك يا امام يا شفعى ان فلانة (مرسلة الرسالة) اشتكتلك فلان ابن فلانة تهمنه (اتهمنا) فى الدرة أنا وأولادى وكتب فينا بلاغ وشحتتنا (تقصد اللفظ العامى شحططنا أى أقلقنا) فى المركز ومن المركز على النيابة وجرسنا (أى فضحنا) وقطع عرضنا فى البد (البلد) واحنا على وش موسم .. فلانة وفلان اشتكولك ووقعوا فى عردك (عرضك) وعرد (عرض) أبوك وجابولك ربى سياء (وساطة) يا امما يا شفعى ... » .

(النص السادس)

(طلب عقد هيئة المحكمة الباطنية)

وفى ضوء ما كتبه رجل من بركة السبع ، محافظة المنوفية ، ذكر اسمه ، وكتب رسالته على ورقة عادية ، ولم يكتب فيها تاريخا محددا وان كان قد ذكر فى مضمون الرسالة انها أرسلت فى شهر رمضان ، وقد تضمن مضمون الرسالة شكوى ضد شخصين ذكرهما ، بسبب السب والسخرية ، وبسبب الضرب ، وبعد أن عرض شكواه بالتفصيل الدقيق ، ذكر طلباته قائلا :

(بنـــاء عليــه)

« التمس من هيئة المحكمة الباطنية أن تسرع فى الأخذ بحقى والانتقام لى فى مقابل اهانتى أمام الناس بدون مقابل فأرجو هيئة المحكمة معاملته بظلمه لى فى أقرب وقت وأطلب له الشلل وعجزه وعدم قيامه من الأرض لتيقظه انه فيه ناس مثله ووراءها من يتولى الدفاع عنهـا لأنه فهم انه بزلعتينه وبأبريقينه وبقلتينه هو سيد الخلق يحكم فيها كيف يشاء ويريد وأن يؤسروا العبيد ويتحكموا فيهم ويهزؤوهم ويجعلوهم لهم خدم وهم أبرياء منهم ٠٠ ليس عندنا شيء يستحق هذه المعاملات فأنا جزعت ويئست من هذه المعاملات وسامحت كثيرا وكظمت غيظى كثيرا الى أن صبرى شكى منى لعدم انتقامى لنفسى فأنا سلمت لله العلى القدير الحاكم العادل ولهيئة المحكمة الباطنية أمرى وفى انتظار عقد الجلسة فى **هذه الليلة** وعمل اللازم ضد فلان ابن فلان واطمئنانى عن محاكمته فأنا حررت لمولاى هذه الشكوى من كثرة جزعى ويأسى من تعداد وتكرار مثل هذا الظلم ولا نخشى فى الله لومة لائم ٠٠٠ » ٠

الملحـق رقـم (٢)

نصوص من علم الحكمة (علم السميا)

(النص الأول)

(قضاء الحوائج والدخول على الحكام)

« يكتب على ورقة بسم الاله الخالق الأعظم وهو حرز مانع مما أخاف وأحذر ولا قدرة لمخلوق مع قدرة الخالق بلجمه بلجام قدرته اللهم الجم هذا الظالم أو الحاكم عنى لا يتكلم فى حقى الا بخير اطما طمثيا وكان الله قويا عزيزا اللهم أعزنى بعزك يا ذا الجلال والاكرام **كهيعص كفايتنا حمعسق حمايتنا** فسيكفكهم الله وهو السميع العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اللهم ألجم أفواههم وأخرس ألسنتهم واعمى أعينهم بحق صم بكم فهم لا يعقلون صمت الأعداء وعميت الأعين وخرست الألسن لا تنطق بحق الا بخير بحق من لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم **ثم تحملها داخل العمامة وتقابل من كانت حاجتك عنده تقضى باذن الله عن تجربة** » •

(النص الثانى)

(عـــزل الظالـــم)

« تدخل فى بيتك ليلة الجمعة بعد صلاة العشاء وانت على طهارة كامنة ثم تجلس وتستغفر الله ألف مرة وتصلى على النبى

صلى الله عليه وسلم ألف مرة (ثم تقرأ سورة الفيل ألف مرة) وبعد تمام الألف تذكر الأسـماء الآتية ثلثمائة وثلاث عشرة مرة وهى : بالله القادر المقتدر القاهر الجبار ناصر الحق حيث كان به الحـول والقـوة ان كانت الا صيحة واحدة فاذا هم جميـع لدينا محضرون · **من فعل ذلك فى عدوه يرى ما يسره** · فليتق الله تعالى فى عمله ولا يفعله الا لمستحقه والله الموفق » ·

(النص الثالث)

(لمنـع بكـاء الأطفـال)

« تكتب هذه الأسماء **بأحرف مقطعة** عدد احدى وأربعين مرة كل مرة فى سطر فانه يزول عنه باذن الله تعالى ، وهذا ما تكتب : ب م أ س أ ل ر ر ح م ر أ ح ل ى م س ر ت · وتضاف الى ذلك الآية الشريفة وهى أفبهذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون ولا تبكون ولا تبكون فضربنا على أذانهم فى الكهف سنين عددا الى قوله وزدناهم هدى وخشـعت الأصـوات للرحمن فلا تسمع الا همسا الا همسا الا همسا أسكت أيها المولود بحق الحى الذى لا يموت صم بكم صم بكم أسكت أيها المولود بحق هذه الآيات والأسماء وصلى الله على سيدنا محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم » ·

(النص الرابع)

(للبغضـــة والفـــراق)

« اذا أردت أن تفرق انسان من آخر فخذ أسماءهم وأسماء أمهاتهـم وامزجهـم ثم تقـول بسم الله ومن الله والى الله وعلى الله وفى الله ولا غالب يغلب الله توكلوا **يا كوش انت ونوش** والقيا

بينهـم العـداوة والبغضاء الى يوم القيامة صدود لا يعوده وفرق فطمسنا عنهم طمسا طميس على الفرقة (والبخور شعر قط وشعر كلب وشعر خنزير وصبر ومر وحنتيت) ويدفن العمل تحت عتبة دار من يريد ليخطيها ويمر عليها ثم انقله وادفنه فى تربة مهجورة لا تزار ولكن تلقى علها خرقة فيها قشر بيض ودم حيض فاتق الله تعالى ولا تفعل ذلك الا لمستحقه » .

(النص الخامس)

(لصـــرف العـــامر)

« اعلم أيها الطالب أن هذا الصرف لا يوجد مثله وهو نار الله الموقدة وهو احراق لكل عامر فاذا سمعوه لا يستطيعون القعود فى هذا المحل وهو كالنار المحرقة عليهم ولا يستقرون فى المحل الذى تريد صرف عـامره ويسرعون بالرحيل وهو أسرع أنواع الصرف والله على ما أقول وكيل :

أو ليس للزجر الشديد قواطع ... قالوا بلى قـد لاح كالنــيران
فأجبتهـم ماذا أقول وابتــدى ... قالوا بذكرى مكـون الأكـوان
بأياش بهيــارش وهيــارش ... جـل المهيمـن منـــزل القرآن
جبريل فاهبط للثريا عاجـــلا ... نــادى هبــوط مســعر النيران
نادى ســيوط من طيوط قد بد ... ت أنواره تبدو على الانســان
فباسـمه هيــا الرحيــل عندما ... أفضى مرامى وارجعوا بأمــان
الحرق من لا يرضاه منكم ارحلوا ... وبنــور ديعوج طلقــة عنــانى
طهشا شــقون لم تزل أنواره ... تبــدو على التالى بكل مكــان
أقســمت اقساما بعــزة بطهش ... وبطهشــلات ذكــره يرقــان
هو أشمخ هو ربنا العالى على ... كــل بــرخ جــوده أغنـــانى
جبريل فاهبط عاجــلا لعزيمتى ... برحيــل ذى العمــار والسكان

بجلال مولانا العظيم ومن لـه — جود على التالى مع الاحسـان
المـاجد الجبـار فـرد لم يزل — متعاليـا ومنزهـا عن شـان
وبحرمـة النـور الذى ناديته — وعليــه قــد أنزلت بالقرآن
الهاشـمى الأبطحى محمـــد — هو أشـرف العربان والعجمان
يا عامرا هيا الرحيل باذن من — أنشـأك يا هـذا من النـيران
هو خالق هو بارىء ومصـور — هو منعـم بالعفـو والغفـران
تالله أن خالفتنـى يـا عــامر — جبريل قـد وافـاك بالنـيران
ثم الصـلاة على النبى وآلـه — أهل الهدى والفضل والاحسان
فبحقهـم ويحبهم أن ترتحـل — يا عامـرا بالمصطفى العدنـان

فاذا قضى الطالب حاجته وأراد عودة سكان المكان اليه فيقول القسم التالى ثلاث مرات :

« بحق الأسماء التى انصرفتم بها يا عمار هذا المكان عودوا الى ما كنتم عليه • وبحق الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلى العظيم » •

(النص السادس)

(الخـــاتم السـليمانى)

فى الأبيات الخمسة التالية من دعـوة **الجلجلوتية الكبرى : الطريقة الصغرى** ، أسرار وأسرار ، فهى تتضمن خاتم هذه الدعوة ، ويسمى « الخاتم السليمانى » • وهذه الأبيات هى :

ثلاث عصى صففت بعد خاتم	على راسها مثل السنان تقومت
وميم طميس أبتر ثم سلم	وفى وسطها بالجرتين تشركت
واربعة شبه الأنامل صففت	تشير الى الخيرات للرزق جمعت
وهاء شفيق ثم واو مقوس	كأبنوب حجام من السر التوت
وآخر مثل الأوائل خاتم	خماسى أركان وللسر قد حوت

« ولهذا الخاتم خواص كثيرة ، ومنافع عظيمة ، واشارات لطيفة ، ومعان طريفة ، وأسرار لا تحصى ، وعجائب لا تستقصى ، فبه تجلب المسار وتدفع المضار ، **ومن عرفه استغنى عن غيره ، واكتفى به عما عداه** » .

الملحـــق رقـم (٣)

نصوص من وريقات « البخت »

(النص الأول)

« ابشر يا صاحب هذا الفال وطب نفسا وقر عينا فان سؤالك الذى سألت عنه وضميرك الذى ضمنت عليه ستبلغه قريبا وتناله سريعا ان شاء الله والله تعالى أعلم » ٠

(النص الثانى)

« انت سريع الغضب ولكن قلبك سليم وتحب كل من عمل شىء يسرك ومتى كان عمله معاكس تكرهه لقد بذلت ألف سعى لتجد حظك ولكن لم تجد فاسعى فالحظ امامك » ٠

(النص الثالث)

« انت منتصر على اعدائك وتظفر بهم كما ظفر صالح بقومه ولابد لك فى هذه السنة من النجاح وتكن غنى عن كل افراد عائلتك مدى الحياة وستعيش أن شاء الله مسرور » ٠

(النص الرابع)

« انى ارى الحيرة تحتلك من اجل الأحوال الشخصية فالصبر ينجيك من الأفكار الوقتية والفكر والمرض تستطيع التخلص منه

بايمانك بالله سـبحانه وتعالى وقل يا رب احمينى من اصدقائى وأعدائى فانه كفيـل بهم واجعـل النصر رسمالك والله قادر على نصرتك » .

(النص الخامس)

« نجاح سيلازمك فيها (فيما) تسعد (تسعى) وراء مشروع خطبة أو زواج سيتم سريعا كما تتمنى ومناسبات سعيدة ستحويك وانسجام فى علاقتك برؤساءك أو من هم أكبر منك سنا وصداقك (صداقتك) سـتتحقق لك ولكن خلاف مع من تحبـه لأسـباب شخصية تطورت فكن حكيما فالنجاح قريب منك ان شاء الله » .

(النص السادس)

« أبشر أيها السائل وتوكل على الله يأتيك الله بفرج يكون لك خيرا ولا تفتش سرك لأحد من الناس تنال جميع مطلوبك بغير تعب ان شاء الله تعالى الحاجة التى أضمرت عليها تقضى لك بفرح وسرور وبلوغ المراد باذن الله » .

(النص السابع)

« تعاون مع شخصية تحتك بها وصداقة قديمة ستعرض عليك عرضا خاصا واستقرار فى مركزك ونجاح فى عملك واجتماع موافق بزمالة طيبة ولكن حيرة فى مسائل زوجية وانشقاق ذهنى وقلق فكرى من الناحية العاطفية فكن حكيما فى تصرفاتك والله أعلم » .

(النص الثامن)

« أنت تحب الأصحاب ولكنك قليـل الحظ وأغلب أصحابك يتكلمون فى وجهك بكلام مليح لكن من وراء ظهرك يقولون غير ذلك

فاحذر من افشاء سرك واحفظه فى صدرك فان سهمك يدل على العز والرفاهية والسعادة والخير الكثير » .

(النص التاسع)

« توالت عليك الأفكار آنــاء الليــل وأطراف النهــار وزادت الأوهام وكل واحد تكلم كلام وطلع النهار وانت محتار وبقيت مثل المركب الوحلان مع انه امر بسيط وان شغلت فيه بالك تبقى عبيط والله قدير بيده الأمر والتدبير » .

(النص العاشر)

« ابشر يا صاحب الفال بشارة كلها عز وسعادة فسوف تنال مرتبة عالية ودرجة سامية ويكون ذلك على يد رجل قليل القدر وعظيــم الشأن يذهب الله عنك الهم والغم وتعيش عيشــة هنيــة وتنتصر على اعدائك وينجيك الله من كل هم » .

(النص الحادى عشر)

« قد دل فالك أيها السائل على سفر تسافره من بلد الى بلد ويســتقيم امــرك وينصلح حالك وانت انســان طيب النفس وقد صحبت انسان نزلته منزلة اخاك وهو يخالف ذلك فلا تركن اليه فانه يناديك ويريد هلاكك فاحذر كل الحذر والله اعلم » .

(النص الثانى عشر)

« أراك أيها السائل كثير الهم ضيق الصدر من اهلك وقرابتك وأرى قلبك مشغول بامرأة وهى شاكرة لك وموفقة فابشر برزق واسع يصل اليك قريبا غير بعيد واحذر من قوم يظهرون لك المحبة والمودة وهم اعداءك » .

(النص الثالث عشر)

« اراك يا صاحب هذا الفال متحير فى امرك وتعبت وكثر همومك وانت مشغول بسببه ولابد لك من نقلة يكون لك فيه خير وحاجتك ميسرة ان شاء الله غير انى أوصيك أن لا تقترب للشركة فليس فيها خير وقد نهيتك عنها فلا تخالف قولى ترى الخير والصلاح » .

(النص الرابع عشر)

« ابشر يا صاحب هذا الفال سيعرض عليك صداقة ستؤدى لك خدمة تختص بمركز وأخبار آتية تحقق امنية ومسرات بادية فى افق حياتك وسعادة لكن شدة فى المال وتضحيات لابد منها ومضايقات من احدى اقاربك فتحدث بحكمة ونصرك قريب ان شاء الله » .

(النص الخامس عشر)

« ايها السائل ان فالك مبارك على امر انت عازم عليه وهو امر مبارك ويتم لك ما تريد وتظفر بعدوك وتقضى حاجتك بعد اليأس فاحذر من امرأة تتردد عليك فانها اكبر اعدائك واحذر كل الحذر والله أعلم » .

الملحــق رقـم (٤)

نصوص من العبارات المكتوبة على هياكل السيارات

(النص الأول)

(حول مفهوم الصبر)

- اصبر يا عزيز ربنا منولك اللى فى بالك ٠
- الصبر حلو ٠
- الصبر جميل ٠
- الصبر طريق السلامة ٠
- الصبر طيب ٠
- الصبر طيب الأسى يضر ٠
- الصبر مفتاح الفرج ٠
- بالصبر تبلغ ما تريد وبالتقوى يلين لك الحديد ٠
- بيده الخير فاصبر ٠
- ساصبر حتي ينظر الله فى امرى ٠
- صبرك يا قلبى على نفسى ولا صبر الناس عليك ٠
- للصبر حدود ٠
- للصبر حدود وانا صابر ٠
- من صبر نال كل مطالبه ومن تعجل ندم ٠
- من صبر وتانى نال ما تمنى ٠
- واصبر حتى يحكم الله ٠
- وبشر الصابرين ٠
- وصفولى الصبر لقيته خيال ٠

(النص الثانى)

(حول مفهوم الاستسلام)

- اجري جري الوحوش غيررزقك لم تحوش ٠
- ارادة الله فوق كل شيء ٠
- اصرف ما فى الجيب ياتيك ما فى الغيب ٠
- الأمر لله وحده ٠
- اللى مكتوب على الجبين لازم تشوفه العين ٠
- اهى جت كده واللى معاه كلمة يلمها ٠
- حكم القدر محتوم على الظالم والمظلوم ٠
- خلى تكالك على الخالق ٠
- خليها على الله ٠
- خليها على جانب الله ٠
- ده تعديل الله ٠
- ربنا عاوز كده وانا اعمل ايه ٠
- سيبها لله يفعل ما يريد ٠
- كده حكمة الله ٠
- كده رضا ٠
- كده رضا من الله ٠
- كل شيء بارادته ٠
- ماتفكرنيش بالماضى انا كده متهنى وراضى ٠
- نسيبك للزمن يفعل بك ما شاءه القدر ٠
- نصيبى كده
- هذه ارادة الله سيبنى فى حالى ٠
- هيه جت كده ٠

(النص الثالث)

(حول مفهوم الحسد)

- العين الحاسدة ملعونة ٠
- العين صابتنى ورب العرش نجانى ٠
- ايه يعمل الحاسد فى الرازق ٠
- بلاش أر (قر) يا ناس يا شر ٠
- تندب فى عينك رصاصة يالى بتبص ٠
- حصوة فى عين اللى ما يصلى على النبى ٠
- خمسة وخميسة ٠
- عين الحسود فيها عود ٠
- عين الحسود فيها عود يا جميلة ٠
- عين الحسود فيها عود يا حلاوة ٠
- عين الحسود لا تسود ٠
- عينك !
- ماتبصليش بعين ردية بص للمدفوع على ٠
- ماتبصليش بعين ردية بص للى انصرف على ٠
- ماتبصليش بعين ردية بص للفلوس المدفوعة فى ٠
- ماتبصليش بالشكل ده ٠
- ماتبصليش قوى لتحسدنى ٠
- يا حاسدين الناس مالكم ومال الناس ٠
- يا حافظ يا امين ٠
- يا ناس يا شر كفاية أر (قر) ٠
- يا ناس يا شر يا كفار ٠

(النص الرابع)

(حول مفهوم العجب والتفاخر)

- أبو السباع سيارات الوحش الجبار ·
- أبو سمرة الأصيل ·
- أبو قرنى قاهر الدركسيون ·
- الاسماعيلى بطل افريقيا ·
- العيشة منجهة والحياة أبهة ·
- انا حلوة ·
- انا اللى حلوة فيهم ·
- انا فى الهوى غلاب ·
- انا من يومى كايدة التجار ·
- انتى اللى فيهم ·
- بص شوف الفلوس بتعمل ايه ·
- بص شوف ·
- بص وبص وبص تسوا مليون ونص ·
- دايما فى المقدمة ·
- فلفلة كايداهم ·
- قاهر الصحراء ·
- قاهر المانش ·
- كايداهم ·
- كايداهم لوحدى ·
- كايده العزال ·
- كايده العزال انا من يومى ·
- كايده العزال يا سكينة ·
- والنبى انا حلوة وعارفة انتى حلوة ·

(النص الخامس)

(الدعوة الى انماط معينة من السلوك الانسانى)

- اتق شر من احسنت اليه ٠
- احترم العامل يحترمك ٠
- احترم الكبير واعطف على الصغير ٠
- اذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فتذكر قدرة الله عليك ٠
- اذا دعتك قدرتك على ظلم الناس فترقب اعمالهم ٠
- اذا سفه السفيه فلا تجبه وخير الكلام السلكوت ٠
- اصلك فعلك ٠
- أغنى الغنى العقل ٠
- افعل الطيب ٠
- اكبر الفقر الحمق ٠
- اكرم الحسب حسن الخلق ٠
- الاعتراف بالحق فضيلة ٠
- الأمانة سر النجاح ٠
- البانى طالع والفاحت نازل ٠
- الحق قوة وعدل وايمان ٠
- الحلم سيد الأخلاق ٠

- الرأفة بالحيوان واجب على كل انسان ٠
- الضحك من غير سبب قلة أدب ٠
- العلم نور ٠
- الغش حرام وكل البضاعة حلال ٠
- القناعة كنز لا يفنى ٠
- الكلمة الحلوة والابتسامة العريضة تصنع المعجزات ٠
- امش فى طريقك عدل يحتار عدوك فيك ٠
- صاحب بالين كذاب وصاحب ثلاثة منافق ٠
- كثير الكلام قليل الفعل ٠
- كن مفتاحا للخير ٠
- لا تندم على ما فاتك ٠
- منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب مال ٠
- نهيتك ما انتهيت والطبع فيك غلاب وديل الكلب ما ينعدل ٠

من الانتاج العلمى للمؤلف

١ ـ (مقرر) بحث ودراسة حالة موارد المياه وطرق صرفها فى حى بولاق ، جمعية الخدمات الاجتماعية بحى بولاق ، القاهرة عام ١٩٥١ ٠

٢ ـ مذكرات يوغسلافية : انطباعات وحقائق وآراء ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، عام ١٩٦٤ ٠

٣ ـ من ملامح المجتمع المصر المعاصر : ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى ، القاهرة ، دار مطابع الشعب ، عام ١٩٦٥ ٠

٤ ـ الخلود فى التراث الثقافى المصرى ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، عام ١٩٦٦ ٠

٥ ـ الخدمة الاجتماعية ودورها القيادى فى مجتمعنا الإشتراكى المعاصر ، القاهرة ، دار المعارف بمصر ، عام ١٩٦٦ ٠

٦ ـ (مترجم) ثورة الزنوج ، تاليف لويس لوماكس ، القاهرة ، الدار القومية ، عام ١٩٦٦ (كتب سياسية ـ ٣٨١)

٧ ـ محاولة فى تفسير الشعور بالعداوة ، القاهرة ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، عام ١٩٦٨ ٠

٨ ـ حديث عن الثقافة : بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، عام ١٩٧٠ ، رقم الايداع ١٩٧٠/١٩٨٩ ٠

٩ ـ هتاف الصامتين : ظاهرة الكتابة على هياكل المركبات فى المجتمع المصرى المعاصر ، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، عام ١٩٧١ ، رقم الايداع ١٩٧١/٥٧٧٢ ٠

١٠ـ الخلود فى حياة المصريين المعاصرين : نظرة القادة الثقافيين المصريين نحو ظاهرة الموت ونحو الموتى ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عام ١٩٧٢ ، رقم الايداع ٤٥٢٤/ ١٩٧٢ ٠

١١ـ نشأة مهنة الخدمة الاجتماعية فى مصر : تاريخ شخصى ، القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، عام ١٩٧٣ ، رقم الايداع ١٩٧٣/٢٣٣٣ ٠

١٢ـ عطاء المعدمين : نظرة القادة الثقافيين المصريين نحو ظاهرة الموت ونحو والموتى ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، عام ١٩٧٣ ٠

١٣ـ (بالاشتراك) معجم العلوم الاجتماعية ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عام ١٩٧٥ ، رقم الايداع ٣٦٩٩/ ١٩٧٥ ٠

١٤ـ حديث عن المرأة المصرية المعاصرة : دراسة ثقافية اجتماعية ، القاهرة ، مطبعة أطلس ، عام ١٩٧٧ ، رقم الايداع ٤٨٥٠/ ١٩٧٧ ٠

١٥ـ رسائل الى الامام الشافعى : ظاهرة ارســال الرســائل الى ضريح الامام الشافعى ، دراسة سوسيولوجية ، الطبعة الثانية القاهرة ، الكويت ، امستردام ، دار الشايع للنشر ، عام ١٩٧٨ ٠

١٦ـ تجربة فى التنميــة الحضرية المحليــة : جمعيــة الخدمــات الاجتماعية بحى بولاق فى ثلاثين عاما ، جمعيــة الخدمــات الاجتماعية بحى بولاق ، القاهرة ١٩٧٨ ٠

١٧- الابداع الثقـافى على الطريقة المصرية : دراســة عن بعض القديسين والأولياء فى مصر ، القاهرة ، عام ١٩٨٠ .

١٨- الازدواجية فى التراث الدينى المصرى : دراسة ثقافية جتماعية تاريخية .

١٩- من وحى المجتمع المصرى المعاصر : دراسة ثقافية اجتماعية (تحت الطبع) .

٢٠- مطالعات فى موسوعة لمجتمع المصرى : دراسة ثقافية اجتماعية تاريخية .

فهرس الموضوعات

رقم الايداع ٨٥/٤٧٤٩

الترقيم الدولى ٥ ـ ٢٨ ـ ١٣٥٠ ـ ٩٧٧

دار عمـــاد للطباعة